حياة القلوب

تفسير كلام علام الغيوب

الجزء السابع

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء السَّابعُ من كتاب: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ)، أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بفضله ومنه وكرمه.

سعيد بن مصطفى دياب

الأسكندرية في: ١٩ جمادى الآخرة/ ١٤٤٣هـ

الموافق: ٢٢/ ١/ ٢٠٢٢م

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٨٢- ٨٦

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى كفر أهل الكتاب ونهى المؤمنين عن موالاتهم، ذكر هنا عداءهم لأهل الإيمان ليكون سببًا آخر لترك موالاتهم، والتحذير من الاغترار بتوددهم لأنه مكر وخداع.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

يخبر اللهُ تعالى رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أشدَّ النَّاسِ عداوةَ لأهلِ الإسلامِ هم الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا يَعْنِي عَبَدَةَ الْأَوْثَانِ؛ وذلك لأنَّ كفرَ اليهودِ والمشركين كفرُ عنادٍ واستكبارٍ، ولا عجب في ذلك فاليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة قتلة الأنبياء، وهم الذين كانوا يحرفون كلام الله عمدًا من بعد ما عقلوه، فهم لا تزيدهم الآياتُ إلا كفورًا، ولا تزيدهم الحجج والبراهين إلا إعراضًا ونفورًا، واللام في ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ هي الموطئة للقسم، وأكدَّ القسم بنُونِ التَّوْكِيدِ مبالغة فيه؛ لعلم الله تعالى أنه سيأتي ممن ينتسب إلى الإسلام مَنْ يزعم أن اليهود يحبون المسلمين ولا يعادونهم، وقد كان، وقدم اليهود على المشركين لأن عداوتهم للمسلمين أشدُّ، وضررهم أعظم، ويدخل في جملة المشركين المجوس والهندوس والبوذيون وأمثالهم.

ولفظ: (الناس) هنا عامٌّ يراد به الخصوص والمراد بهم الكفار؛ والمعنى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الكفارِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا.....).

قال الراغب: إن قيل فلم قدم ذكر اليهود والمشركون شرٌ منهم؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قيل: لأن الآية المتقدمة في ذكرهم، والقصد كان إليهم، فكان تقديمه لذلك أولى.[1]

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

يخبر الله تعالى أن أقرب الناس مودة لأهل الإسلام الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى، يعني الذين ينتسبون إلى المسيح عليه السلام، وهم كذلك في الجملة؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الْحَدِيدِ: ٢٧]، ولولا قادتهم المتعصبون وحقدهم، وإعلامهم الفاسد لدخل الناس في دين الله أفواجًا، وهذا هو سبب الحروب الصليبية على المسلمين في الماضي والحاضر.

وقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ...﴾، يعني: أقرب الكفارِ، حتى لا يحتج أحدٌ بهذه الآية على إيمان النصارى، فأمَّا من آمن منهم فقد صار مسلمًا فلا ينسبُ إليهم.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾، دليل على أنَّ الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام هو الإسلام، فعدلوا عنه وقالوا: إِنَّا نَصَارَى.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾.

(قِسِّيسِينَ) جمعُ قِسِّيسٍ، وَقَسٍّ وهو رَئِيسُ النَّصَارَى فِي الدِّينِ، ويُجمَعُ أَيْضًا عَلَى قَسَاوِسَةٍ، وَقُسُوسٍ، ﴿وَرُهْبَانًا﴾، جمعُ راهبٍ، وهو الْمُنْقَطِعُ فِي دَيْرٍ أَوْ صَوْمَعَةٍ لِلْعِبَادَةِ.

والْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ﴾ بَاءُ السَّبَبِيَّةِ، أي: ذلك بسبب أَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا، لانقطاعهم في الأديرة، والكنائس للعبادة، وعندهم من التواضع والتسامح ما ليس عند غيرهم، وهذا في الأعم الأغلب، وإلا فمن القسيسين والرهبان، من هو شديد البغض، ظاهر العداء للإسلام والمسلمين.

---

١ - تفسير الراغب الأصفهاني (٥/ ٤٢٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

أي: ينقادون للحق ويقبلونه ممن جاء به، فإن الكبر بطر الحق، وغمط الناس كما أخبر رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين علموا صفةَ رسولِ اللهِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يؤمنوا به هم أشدُّ الناس كبرًا، فهذا الوصف هو لمن آمن منهم كما سيأتي بيانه.

وَالضَمِيرُ فِي: ﴿وَأَنَّهُمْ﴾. يحتمل أن يكونَ عَائِدًا إِلَى القِسِّيسِينَ وَالرُّهْبان؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مذكورٍ، ويحتمل أن يكونَ عَائِدًا إِلَى النَّصارى، ويكون ذلك للأغلب منهم.

قال القاضي أبو يعلى: وربما ظن جاهلٌ أن في هذه الآية مدح النصارى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح مَن آمن منهم، ويدل عليه ما بعد ذلك، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود.[1]

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾.

أي: وَإِذَا سَمِعَ هؤلاءِ القساوسة، أو هؤلاء النصارى مَا أُنْزِلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآنِ بكوا حتى تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ، مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ فقد بشر عيسى عليه السلام برَسُولِ اللهِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في مواضع من لإنجيل، ويبكون تأثرًا بكلام اللهِ تعالى فهم يعرفون أنَّه وحيٌ من عند الله تعالى، وليسوا كاليهود الذين قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، فكما أنَّ بَيْن الأخيار تفاوتٌ فإنَّ بين الأشرار أيضًا تفاوتٌ.

والفيضُ سيلانٌ عن امتلاءٍ؛ أي: تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَمْتَلِئُ مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى تَفِيضَ، وَأَسْنَدَ الْفَيْضَ إِلَى الْأَعْيُنِ وَإِنْ كَانَ حَقِيقَةً لِلدُّمُوعِ؛ مِنْ بَابِ إِقَامَةِ الْمُسَبَّبِ مَقَامَ السَّبَبِ للمبالغةِ؛ كَمَا يُقَالُ: فَاضَ الْوَادِي، أَيْ: فَاضَ مَاؤُهُ، وجَرَى الْوَادِي، أَيْ: جَرَى مَاؤُهُ، ومثله قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾. [الْقَمَرِ: ١٢]؛ أي: فجرنا عيونَ الأرضِ وقَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾. [مَرْيَمَ: ٤]؛ أي: اشتعل شيب الرأس.

---

١ - زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٧٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

و (مِنْ) هنا لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ أي: ابْتَدَأَ فَيْضُ الدَّمْعِ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾. أي: مِنْ أَجْلِ الَّذِي هُوَ مَا عَرَفُوه من الحقِّ.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾. أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَيْ: يَقُولُونَ رَبَّنَا صَدَّقْنَا مَا أَنْزَلْتَهُ إِلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْرَرْنَا بِهِ، فَاكْتُبْنَا مَعَ أُمَّتِهِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لِنَبِيِّهِمْ وَلِلرُّسُلِ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾.[1]

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.

ثم أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون: وأي شيء يحول بيننا وبين الإيمان بالله، وما جاءنا به رسله من الحقِّ، ونحن نطمعُ أن يدخلنا الله تعالى في زمرة الصالحين من عباده.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي: فَجَزَاهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، النعيمَ المقيمَ الذي لا يزول عنهم ولا يزولون عنه في جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قصورها الْأَنْهَارُ.

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

تذييلٌ فيه ثناء الله تعالى عليهم، ببيان ما كانوا عليه من تمامِ الطاعةِ وكمالِ الإيمانِ فالإحسان هو أعلى مراتب الدين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

ثم ذكر الله تعالى حال من آثر الكفر على الإيمان، وأعرض عن آيات الله البينات، وكذَّبَ رسل الله عليهم السلام، كما هو حال القرآن دائمًا في المقارنة بين ما أعده الله تعالى لأوليائه

---

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٤٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من النعيم، ما أعده لأعدائه من العذاب المقيم، فكما أعدَّ للمؤمنين جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، أعدَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ عذابًا أليمًا.

ووصفهم بأنهم: ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، لملازمة العذاب لهم ملازمة الصاحب لصاحبه، والجحيم النَّارُ شَدِيدَةُ الِاضطرامِ، عظيمةُ اللهبِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٨٧- ٨٨

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا ذمَّ اليهودَ والنصارىَ والمشركينَ وبيَّنَ مخالفتهم للحقِّ، وتنكبهم للصراط المستقيم الذي جاءت الرسلُ ببيانه ودعوة الناسِ إليه، أمر تعالى هنا المؤمنين بمخالفتهم جميعًا، وبدأ بمخالفة النصارى الذين حرموا ما أحل الله تعالى لهم من الطيبات تقربًا إلى الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]، وبدأ بهم لأن بعض الناس قد يظن أن تحريم الطيبات سبب مرضاة الله.

وثنى بالاعتداء على حرمات الله وهي سمة اليهود الذين استحلوا حرمات الله بأدنى الحيل، والمشركون عندهم ما عند اليهود والنصارى من الاعتداء وتحريم الطيبات؛ فلا يتورعون عن الخبائث وأكل الميتات، ومع ذلك يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، فنهى الله تعالى المؤمنين عن سلوك سبيلهم جميعًا.

سبب نزول الآية:

سبب نزول الآية ما ثبت عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي إِذَا أَصَبْتُ اللَّحْمَ انْتَشَرْتُ لِلنِّسَاءِ وَأَخَذَتْنِي شَهْوَتِي، فَحَرَّمْتُ عَلَيَّ اللَّحْمَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾.[١]

١ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ المائِدَةِ، حديث رقم: ٣٠٥٤، وصححه الألباني

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه الآية وإن كانت نزلت على سببٍ خاصٍ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكلُّ مَنْ حَرَّمَ شيئًا على نفْسِهِ مما أحلَّهُ اللهُ تعالى فهو داخلٌ تحت هذه الآية.

ومن ذلك ما ثَبَتَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».[1]

ومن ذلك استئذانُ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَبَتُّلَ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: «رَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا».[2]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾.

ينهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بأعدائه من المشركين عبدة الأوثان، واليهود المغضوب عليهم والنصارى الضلال بتحريم ما أحله الله لهم من الطيبات، وهي كل مباح لذيذٍ تشتهيه النفسُ، ويميل إليه القلبُ، أو تحليلِ ما حرمه الله تعالى من الخبائث المحرمات كالميتة والدم وغيرها مما تعافه النفوس، وتنفر عنه الفطر السليمة، وتستقبحه العقول السوية المستقيمة، وذكر الاعتداء هنا في مقابلة تحريم الطيبات وإن كان تحريم الطيبات اعتداءًا، حتى لا يكون في الكلام تكرارًا.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، حديث رقم: ٥٠٦٣، ومسلم- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ، حديث رقم: ١٤٠١

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّبَتُّلِ وَالخِصَاءِ، حديث رقم: ٥٠٧٣، ومسلم- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ، حديث رقم: ١٤٠٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

لما كان الاعتداء مجاوزة الحدِّ أخبر تعالى أنه يبغض مَنْ هذا حاله لظلمه واعتدائه، وأقبح اعتداءٍ الاعتداءُ على حرمات الله تعالى.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾.

ثم أمر الله تعالى المؤمنين بالاستمتاع بما أحله لهم من الأرزاق الطيبة، ويدخل فيها كل ما ينتفع به من المآكل والمشارب والملابس والمراكب، وخصَّ الله تعالى الأكل بالذكر لأنه أعظمها نفعًا.

وقيد الله تعالى المنافع بقيدين الأول الإباحة، فلا يحل أكل الحرام، وأن يكون طيِّبًا فلا يحل أن المستخبث المستقذر.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

أي: وخافوا الله الذي توحدونه وترجون رحمته وتخافون عذابه، فليس شأن المؤمن التعدي على حدود الله وانتهاك حرماته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٨٧- ٨٨

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما نهى الله تعالى المؤمنين عن تحريم ما أحله الله تعالى لهم من الطيبات، ولما كان من عادة الناس الحلف بأيمان يؤكدون بها ما حرموه على أنفسهم، بين الله تعالى هنا حكم تلك الأيمان.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

تقدم الكلام على لغو اليمين في سورة البقرة، عند تفسير قوله تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾. [البَقَرَة: ٢٢٥]، وقلنا اللَّغْوُ: السَّاقِطُ مِنَ الْكَلَامِ الذي لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ؛

وَلَغْوُ الْيَمِينِ هُوَ مَا يَجْرِي عَلَى اللِّسَانِ، وَلَا يَقْصِدُ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ حَقِيقَةَ الْحَلِفِ.

ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.[1]

ومنه قول القائل: (كَلَّا وَاللَّهِ)، وَ (بَلَى وَاللَّهِ)؛ فعَنْ عَطَاءٍ، فِي اللَّغْوِ فِي الْيَمِينِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «هُوَ كَلَامُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ، كَلَّا وَاللَّهِ، وَبَلَى وَاللَّهِ».[2]

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾.

الْعَقْدُ نَوعَانِ: عقدٌ حِسِّيٌّ كَعَقْدِ الْحَبْلِ، وَعقدٌ حُكْمِيٌّ؛ كعقدِ البيعِ وعقدِ اليمين، والمرادُ بالعَقْدِ هُنَا: عَقْدُ القَلْبِ عَلَى فِعْلِ الشَّيءِ؛ أَيْ: وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا قَصَدْتُمْ بِهِ الْحَلِفَ، وَعَزَمَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ.

---

١ - سورة الْقَصَصِ: الآية/ ٥٥

٢ - رواه أبو داود- كِتَاب الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابُ لَغْوِ الْيَمِينِ، حديث رقم: ٣٢٥٤، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

أي: فَكَفَّارَةُ مَا عَقَّدْتُمُ مِنَ الْأَيْمَانُ، إِطْعَامُ عَشَرَةٍ منَ الفُقَرَاءِ الْمُحتَاجِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا يأكلُ ويطعم أهله، غَدَاءٌ وعَشَاءٌ لكلِ واحدٍ منَ الْمُحتَاجِينَ، والمرادُ بالأَوْسَطِ هُنَا مَا كَانَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، لا هو أَفْضَلُ طَعَامِهِم ولَا هُوَ أَدْنَاهُ.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾.

أي: أَوْ كِسْوَةُ كلِ واحدٍ منَ هؤلاءِ الْمُحتَاجِينَ ثوبًا واحدًا على الأقلِ، فإن زاد فهو خيرٌ له؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: أَدْنَاهُ ثَوْبٌ، وَأَعْلَاهُ مَا شِئْتَ.

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: ثَوْبٌ لِكُلِّ مِسْكِينٍ.[1]

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَيْضًا: ثَوْبٌ جَامِعٌ كَالْمِلْحَفَةِ وَالرِّدَاءِ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى؛ أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَكَسَا ثَوْبَيْنِ مِنْ مُعقَّدة الْبَحْرَيْنِ.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾.

تحريرُ الرقبةِ: عتقها من أسر الرقِّ، وذِكْرُ الرقبةِ من بابِ إطلاقِ الكلِ على الجزءِ، وَخَصَّ الرَّقَبَةَ بالذِّكْرِ لِأَنَّ الرَّقَبَةَ موضعُ الْغُلِّ غَالِبًا.

وورد لفظُ (رَقَبَةٍ) هُنَا مطلقًا، وَوَرَدَ مُقيدًا في كَفَّارَةِ الْقَتْلِ في قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فوجبَ حملُ الْمُطْلَقِ على المقيدِ؛ لِاتِّحَادِ الْمُوجَبِ وهُو أَنَّهُ تَحْرِيرٌ في كَفَّارَةٍ، ومن مقاصدِ الشريعةِ تَفْرِيغُ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ، وَتَكْمِيلَ أَحْكَامِهِ وَعِبَادَتِهِ، وهذه هي الْحِكْمَةُ مِنْ تَحْرِيرٍ فِي الكَفَّارَاتِ، فَيجبُ أنْ يَخْتَصَّ بِالْمُؤْمِنَةِ.

ومما يدلُّ على وُجُوبِ حَمْلِ الْمُطْلَقِ على المقيدِ هنا ما رواه مسلمٌ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ

---

١ - تفسير الطبري (٨/ ٦٣٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».[1]

وَكَفَّارَةُ الْيَمِينِ فِي هذهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ عَلَى التَّخْيِيرِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهَا انتقلَ إلى الصَّوْمِ.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.

أي: فمن لم يجد فضلاً عن قوت عياله في يومه وليلته، ما يكفي لإطعام عشرة مساكين له أن يكفر بالصيام، ثم أخبر أن ذلك المذكور هو كفارة اليمين الشرعية عند الحنث، لا كفارة لها سواه.

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾.

ثم أرشد الله تعالى العبادَ إلى حفظ أيمانهم، فَلَا يُكْثِرُوا مِنْهَا، ولا يحلفوا لغير حاجةٍ.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أَيْ: مِثْلَ هَذَا الْبَيَانِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أعلامَ دينِهِ، وأحكامَ شريعتِهِ، لتشكروا نعمتَهُ عليكم في تعليمكم الدين، وتشريع الكفارات.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، حديث رقم: ٥٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٩٠

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما نهى الله تعالى المؤمنين عن تحريم الطيبات، ونهاهم عن الاعتداء وهو استباحة المحرمات، بين تعالى هنا أن الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالأَنْصَابَ وَالأَزْلامَ ليست من الطيبات، بل هي من الخبائث المستقذرات، وإن وجدوا فيها شيئًا من اللذة، لأنه تفضي إلى العداوة والبغضاءِ، وتصدُّ عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة، لأنها من حبائل الشيطان وشراكه التي يفسدُ بها على العبادِ دينهم.

سببُ نزول الآيات:

سبب نزول هذه الآيات ما رواه مسلمٌ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ - وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ - فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ، وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ. قَالَ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ. فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي، بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - شَأْنَ الْخَمْرِ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

نهى الله تعالى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ تَعَاطِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، وَهُوَ الْقِمَارُ، وَكَانُوا يَتَقَامَرُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَنهاهم عن الذبحِ على الأَنْصَابِ وَعن الاستقسامِ بالأَزْلامِ وقرنَ تعالى الأَنْصَابَ وَالأَزْلام بالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ تنفيرًا للنَّاسِ عن الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، وَتَأْكِيدًا لِقُبْحِهما.

---

١ - رواه مسلم- كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابٌ فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم: ١٧٤٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونَزَلَتْ فِي الْخَمْرِ ثَلَاثُ آيَاتٍ هذه آخرها؛ فَعَنْ أَبِي تَوْبَةَ الْمِصْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: نَزَلَتْ فِي الْخَمْرِ ثَلَاثُ آيَاتٍ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] الْآيَةَ، فَقِيلَ: حُرِّمَتِ الْخَمْرُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنَا نَنْتَفِعُ بِهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فَسَكَتَ عَنْهُمْ، ثُمَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: ٤٣] ، فَقِيلَ حُرِّمَتْ، فَقَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَا نَشْرَبُهَا قُرْبَ الصَّلَاةِ، فَسَكَتَ عَنْهُمْ، ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠] الْآيَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُرِّمَتِ الْخَمْرُ».[1]

وَعَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ قَالَ عُمَرُ: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا» فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ "، فَقَالَ عُمَرُ: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا»، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: ٤٣] فَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: ٤٣] فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا»، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا».[2]

---

١ – رواه أبو داود الطيالسي– حديث رقم: ٢٠٦٩، والبيهقي في شعب الإيمان– فصل في التسديد في الدين، حديث رقم: ٥١٨١

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٣٧٨، والنسائي– كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، حديث رقم: ٥٥٤٠، والحاكم– كِتَابُ التَّفْسِيرِ، حديث رقم: ٣١٠١، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

لما توهم بعض النَّاسِ أنَّ الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالأَنْصَابَ وَالأَزْلامَ مِنَ الطيباتِ نفى الله تبارك وتعالى ذلك التوهم بأسلوب القَصْرِ الذي تفيده (إِنَّمَا)، والمعنى هذا الذي ذُكِرَ لكم ليس من الطيبات في شيءٍ إنما هو رِجْسٌ أي: نجس مستقذر، قال الزجاج: الرجس اسم لكل ما استقذر من عمل.

وبهذه الآية استدل جمهور العلماء على نَجاسَةِ عَيْنِ الْخَمْرِ، فإنَّ الرجس كُلُّ نجسٍ مُسْتَقْذَرٍ تَعَافُهُ النَّفْسُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الرِّكْسِ، وَهُوَ الْعُذْرَةُ وَالنَّتْنُ.

وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ رَبِيعَةُ، وَاللَّيْثُ، وَالْمُزَنِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ، وَبَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ وَالْقَرَوِيِّينَ، كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُمُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، فقالوا بطهارةِ عينِ الخمرِ، وَاسْتَدَلُّوا بأنَّ الميْسِرَ، وَالأَنْصَابَ، وَالأَزْلَامَ لَيْسَتْ نَجِسَةَ الْعَيْنِ، وَإِنْ كَانَتْ مُحَرَّمَةَ الِاسْتِعْمَالِ.

وأجابَ الجمهورُ بضعفِ دلالةِ الاقترانِ، وأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿رِجْسٌ﴾، يَقْتَضِي نَجَاسَةَ الْعَيْنِ فِي الْكُلِّ، فَمَا أَخْرَجَهُ إِجْمَاعٌ، أَوْ نَصٌّ خَرَجَ بِذَلِكَ، وَمَا لَمْ يُخْرِجْهُ نَصٌّ وَلَا إِجْمَاعٌ لَزِمَ الْحُكْمُ بِنَجَاسَتِهِ; لِأَنَّ خُرُوجَ بَعْضِ مَا تَنَاوَلَهُ الْعَامُّ بِمُخَصِّصٍ مِنَ الْمُخَصِّصَاتِ، لَا يَسْقُطُ الِاحْتِجَاجُ بِهِ فِي الْبَاقِي.[1]

وقوله: ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، أي: مِنْ تَسْوِيلِهِ وتَزْيِينِهِ لِلنَّاسِ.

﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ باجتنابِ تعاطِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ لتفلحوا.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾.

أي: لا مقصدَ للشيطان من تزيين تعاطي الخمر والميسر للناس إلا أن يلقي العداوة والبغضاء بينهم، فإنَّ الخمرَ تُذْهِبُ العقلَ، فيتجرأ بعضهم على السبِّ والضرب كما حدث لسعدٍ رضي الله عنه، وكما فعل حمزة رضي الله عنه حين جبَّ أسنمة شارفي علي رضي الله عنه، وَبقرَ

١ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤٢٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خَوَاصِرَهُمَا وَأَخَذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، ولَمَّا عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ حَمْزَةُ: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي؟

وَمن ذلك مَا يَقَعُ فِي الْمَيْسِرِ مِنَ الحسدِ بين المقامِرِينَ، وَالْغَيْظِ وَالْحَسْرَةِ لِلْخَاسِرِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِك من السَّبِ وَالضَّرْبِ.

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾.

أي: ومن مقاصدِ الشيطان في تزيين الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، صدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ، والأمر في الخمر ظاهر لذهاب عقل شاربها، وَأَمَّا الْمَيْسِرُ فلأنه يستحوذ على العقلِ طلبًا لْلْغَلَبَةِ والكسبِ، أو تعويضًا للخسارةِ حال الخسرانِ، فلا يخطر بباله حينئذٍ إلا الربحِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ من أشدِّ مظاهرِ الصدِّ عَنْ ذِكْرِ اللَّه وَعَنِ الصَّلَاةِ.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾.

تذييلٌ الغرض منه تأَكِيدُ النَّهْيَ عَنْهَا بِصِيغَةِ السؤالِ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الزَّجْزِ مِنْ صِيغَةِ الْأَمْرِ الَّتِي هِيَ (انْتَهَوْا)، لذلك لما نزلت هذه الآية قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٩٢

بعد أن نهى الله تبارك وتعالى المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر، أمرهم هنا أمرًا عامًّا بطاعته تعالى وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك الأمر يتضمن امتثالَ كلِ أمرٍ واجتنابَ كل نهي، ومنها تَرْكُ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ.

وأعادَ تعالى لفظ الطاعة مع الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليبين أن طاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجب استقلالًا، كما تجب طاعة الله تعالى، ومع ذلك البيان فقد وجد من ينادي بالإعراض عن السنة والاكتفاء بالقرآن، بل وجد من يطعن في السنة أشدَّ الطعن ويطعن فيمن تمسك بها.

والأمر طاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد الأمر بطاعة الله تعالى لبيان وجوب طاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما يخبر به عن الله تعالى من التحريم والإباحة ومن ذلك قَولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ».[1]

ثم حذَّرَ اللهُ تعالى من مغبة مخالفة أمره تعالى، وأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذف المفعول ليشمل الحذر كل مخالفة.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.

أَيْ: فَإِنْ أَعْرَضْتُم عَنْ طَاعَةِ اللهِ وطَاعَةِ الرَّسُولِ، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾، وليس الغرض مجرد إِعْلَامِهِم بذلك، ولكنه وعيدٌ شديدٌ وتهديدٌ بما ينتظرهم من عذاب الله تعالى، الذي يصيب به من استنكف عن طاعته تعالى وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والعلة من قول الله تعالى هنا: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾، بيان أَنَّ الرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يحرم إلا بوحي من الله تعالى، فمن أطاعه فقد أطاع الله تعالى

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٤٧٠٣، وأبو داود- كِتَاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْمُسْكِرِ، حديث رقم: ٣٦٨١، والترمذي- أَبْوَابُ الْأَشْرِبَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ، حديث رقم: ١٨٦٥، وابن ماجه- كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ، حديث رقم: ٣٣٩٣، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن عصاه فقد عصى الله تبارك وتعالى؛ فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ معْدِ يكَرِبَ الْكِنْدِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ».[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٧١٩٤، وأبو داود- كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، حديث رقم: ٤٦٠٤، والترمذي- أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٢٦٦٤، وابن ماجه- المقدمة، بَابُ تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ عَارَضَهُ، حديث رقم: ١٢، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٩٣

مناسبة الآية لما قبلها:

لما نهى الله تبارك وتعالى عن الخمر وحذر المؤمنين من تعاطيها وأخبر أنها رجس من عمل الشيطان، أشفق المؤمنون على من مات منهم وفي أجوافهم الخمر قبل تحريمها، وقالوا: كَيْفَ بِمَنْ مَاتَ مِنَّا وَهُوَ يَشْرَبُهَا؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية لرفع الحرج عمن مات منهم قبل تحريمها.

سبب نزول الآية:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كُنْتُ سَاقِيَ القَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي: «أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ» قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾.[1]

وَقَالَ الْبَرَاءُ: مَاتَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، فَلَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُهَا قَالَ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكَيْفَ بِأَصْحَابِنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يَشْرَبُونَهَا؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾. الْآيَةَ.[2]

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الْمَظَالِمِ، بَابُ صَبِّ الْخَمْرِ فِي الطَّرِيقِ، حديث رقم: ٢٤٦٤، ومسلم– كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ وَبَيَانِ أَنَّهَا تَكُونُ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ وَمِنَ التَّمْرِ وَالْبُسْرِ وَالزَّبِيبِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يُسْكِرُ، حديث رقم: ١٩٨٠

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ المَائِدَةِ، حديث رقم: ٣٠٥١، وابن حبان– كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، فَصْلٌ فِي الْأَشْرِبَةِ، ذِكْرُ مَغْفِرَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لِمَنْ مَاتَ مِنْ شَرَابِ الْخَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ نُزُولِ تَحْرِيمِهَا، حديث رقم: ٥٣٥٠، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يخبر الله تعالى عن المؤمنين الذي ماتوا قبل تحريم الخمر، بأنهم ليس عليهم جناح، أي: ليس عليهم إثم ولا حرج، فيما طعموا أي: فيما ذاقوا من الخمر قبل تحريمها، فإنَّ المؤاخذة مترتبة على التحريم ولا تحريم حينئذٍ فلا إثم عليهم فيما أبيح لهم.

وقلنا إن المراد بقوله تعالى: ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾، فيما ذاقوا من الخمر؛ لأنَّ الآية نزلت فيمن مات من المسلمين قبل تحريم الخمر، ولفظ: (طعم) يتناول الأكل والشرب؛ كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾.[1]

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

أي: ليس عليهم جُناحٌ فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنًا ما كان إذا اتقَوْا الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه، واتقوا أنْ يكونَ في ذلكَ المأكول والمشروب شيء من المحرمات، مع إيمانهم بالله تعالى، وتقربهم إليه بالأعمال الصالحة.

وقيل: اتَّقَوْا شُرْبَهَا، وَآمَنُوا بِتَحْرِيمِهَا.

﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾.

قيل: المرادُ مِنْ هَذَا التَّكْرِيرِ التَّأْكِيدُ وَالْمُبَالَغَةُ فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، وهو ضعيف لأن التأسيس أولى من التأكيد، وذكر الإحسانِ يدلُّ على أنها مراتب بعضها أعلى رتبةً من بعض.

وقيل: الْأَوَّلُ اتِّقَاءُ جَمِيعِ الْمَعَاصِي قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَالثَّانِي: اتِّقَاءُ الخمر والميسر وما في هذه الآية، الثالث: اتِّقَاءُ مَا يَحْدُثُ تَحْرِيمُهُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ.

وقال ابن جرير: فَالِاتِّقَاءُ الْأَوَّلُ: هُوَ الِاتِّقَاءُ بِتَلَقِّي أَمْرِ اللَّهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ وَالدَّيْنُونَةِ بِهِ وَالْعَمَلِ، وَالِاتِّقَاءُ الثَّانِي: الِاتِّقَاءُ بِالثَّبَاتِ عَلَى التَّصْدِيقِ وَتَرْكِ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ، وَالِاتِّقَاءُ الثَّالِثُ: هُوَ الِاتِّقَاءُ بِالْإِحْسَانِ وَالتَّقَرُّبِ بِنَوَافِلِ الْأَعْمَالِ.[2]

---

١ - سورة البقرة: الآية/ ٢٤٩

٢ – تفسير الطبري (٨/ ٦٦٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

لما كان الإحسانُ أعلى مراتب الدين، خصَّ الله تبارك وتعالى صاحبه بأسمى كرامة وهي محبة الله تعالى له.

فهم بعضهم من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. أنَّ مَنْ كان مؤمنًا تقيًّا، فلا حرج عليه في تعاطي الخمر، ولا شك أنَّه فهمٌ سقيمٌ لكلام الله تعالى؛ فإنَّ الخمر من الكبائر، ومن أسباب الخزي والخذلان في الدنيا والآخرة؛ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، مُدْمِنُ خَمْرٍ».[1]

وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ تَعَبَّدَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ، أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ، قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا، فَسَقَتْهُ كَأْسًا، قَالَ: زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ، وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ.[2]

---

١ – رواه ابن ماجه– كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، بَابُ مُدْمِنُ الْخَمْرِ، حديث رقم: ٣٣٧٦، بسند صحيح

٢ – رواه النسائي– كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، ذِكْرُ الْآثَامِ الْمُتَوَلِّدَةِ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، مِنْ تَرْكِ الصَّلَوَاتِ، وَمِنْ قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَمِنْ وُقُوعٍ عَلَى الْمَحَارِمِ، حديث رقم: ٥٦٦٦، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٩٤

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا نهى اللهُ تَعَالَى المؤمنين عن تحريم الطيبات على أنفسهم، بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾. [الْمَائِدَةِ: ٨٧]، واستثنى مِنْ ذَلِكَ الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَهُمَا مُحَرَّمَانِ لذاتهما، استثنى الله تعالى هنا الصيدَ، فهو وإن كان في أصله مباحًا إلا أنه حُرِّمَ في الحرم، وحالَ التلبسِ بالإحرامِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾.

يخبر الله تبارك وتعالى المؤمنين أنه سيختبرهم بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ في الحرم وفي حال إحرامهم، وأكَّدَ ذلك الخبرَ باللام الموطئة للقسم، وتقدير الكلام: (أقسم لبيلونكم الله...)، ليأخذوا حذرهم، ويتقوا ربهم، وَ (مِنْ) فِي قوله: ﴿مِنَ الصَّيْدِ﴾، لِلتَّبْعِيضِ لبيانِ أنه اختبار هيِّنٌ بالنسبة لغيره، وأنهم يستطيعون التَّحَرُّزَ مِنْهُ.

﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾.

أي: يقربه منكم جدًا حتى يغشاكم في رحالكم فيمكنكم أخذه بالأيدي، وإصابته بالرماح.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الضَّعِيفُ مِنَ الصَّيْدِ وَصَغِيرِهِ، يَبْتَلِي اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ فِي إِحْرَامِهِم، حتى لو شَاؤوا يَتَنَاوَلُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَقْرَبُوهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾، يَعْنِي: صِغَارَ الصَّيْدِ وَفِرَاخَهُ ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾، يَعْنِي: كِبَارَهُ.

وقول ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أولى لأنَّ الابتلاء فيه ظاهر.

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾.

أي: لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ فِي السِّرِّ إِذَا غَابَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الْمُلْكِ:١٢]؛ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ خَشِيَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]، علمًا يحاسبه عليه، ويُظهِر حَالَهُ للنَّاسِ، فإنَّ الله تعالى يعلم ما كان وما يكون، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: فَمَنِ اعْتَدَى بقتلِ الصَّيدِ بَعْدَ هَذَا الْإِنْذَارِ وَالتَّحْذِيرِ فَلَهُ عَذَابٌ مؤلِمٌ لِمُخَالَفَتِهِ أَمْرَ اللَّهِ وَتَعَدِيهِ حُدُودَهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٩٥

لما أخبر الله تعالى في الآية السابقة بأنه سيبتلي عباده بالصيد، بين تعالى هنا هذا الابتلاء فنهى المؤمنين عن قتل الصيد حال إحرامهم، ونهى عن قتل الصيدِ الكائن بالحرم كذلك.

ولفظ الصيدِ هنا عام يدخل فيه ما يؤكل وما لا يؤكل، وهذا العمومُ مخصوصٌ بإباحةِ صَيْدِ الْبَحْرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٩٦]، فالمحرَّمُ صيدُ البرِّ، وَصيدُ البرِّ مستثنى منه خَمْسٌ فَوَاسِقُ؛ الْغُرَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ: الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحُدَيَّا، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ».[1]

وَأَلْحَقَ الْعُلَمَاءُ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ الذِّئْبَ، والسَّبُعَ، والنِّمْر، والفَهْد؛ لِأَنَّهَا أعظمُ مِنْهُ خطرًا، وأَشَدُّ مِنْهُ ضَرَرًا؛ ولأن اسم الكلب يشملها؛ وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: الْكَلْبُ الْعَقُورُ كُلُّ سَبُعٍ يَعْقِرُ، وَقَدْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلابِكَ»، فَافْتَرَسَهُ الْأَسَدُ.

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

الْمُرَادُ بِالْمُتَعَمِّدِ هُنَا هُوَ الْقَاصِدُ إِلَى قَتْلِ الصَّيْدِ، النَّاسِي لِإِحْرَامِهِ.

واختلف العلماء فيما يضمنه المحرم من الصيد على أقول خمسة ترجع في حقيقتها إلى ثلاثة:

الأول: لا يضمن إلا المتعمد لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾، فلا يضمن الْمُخْطِئُ ولا النَّاسِي لِإِحْرَامِهِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ بَرَاءَةُ ذِمَّتِهِ، فَلَا يَشْغَلُهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَلِأَنَّهُ مَحْظُورٌ

١ - رواه البخاري- كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ: خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ، حديث رقم: ٣٣١٤، ومسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ مَا يَنْدُبُ لِلْمُحْرِمِ وَغَيْرِهِ قَتْلَهُ مِنَ الدَّوَابِّ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ، حديث رقم: ١١٩٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لِلْإِحْرَامِ لَا يُفْسِدُهُ، فَيَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ خَطَئِهِ وَعَمْدِهِ، كَاللُّبْسِ وَالطِّيبِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَطَاوُسٍ، وَابْنِ الْمُنْذِرِ، وَدَاوُد وإحدَى الرِّوايتَينِ عن أحمد.

والثاني: لا يضمن إلا الْمُخْطِئُ والنَّاسِي لِإِحْرَامِهِ، ولا يضمن الْمُتَعَمِّدُ؛ لأَنَّ أَمْرُهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكْفُرَ، وَقَدْ بَطُلَ إِحْرَامُهُ، وهو قَولُ الْحَسَنِ ومُجَاهِدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

والثالث: يضمن الْمُتَعَمِّدُ وَالْمُخْطِئُ والنَّاسِي لِإِحْرَامِهِ؛ لِأَنَّهُ ضَمَانُ إِتْلَافٍ فَاسْتَوَى عَمْدُهُ وَخَطَؤُهُ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: عَلَى الْمُتَعَمِّدِ بِالْكِتَابِ، وَعَلَى الْمُخْطِئِ بِالسُّنَّةِ. وهو قولُ جُمهُورِ العلماءِ وهو الراجح.

ويكون قوله تعالى: ﴿مُتَعَمِّدًا﴾، خرج مخرج الغالب، والفرقُ بين الْعَمْدِ وَالخَطَأِ أو النِّسْيَانِ، أَنَّ الْمُتَعَمِّدَ آثِمٌ، وَغيرهُ لا إثمَ عليه.

قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

أي فيجب على الْمُحْرِمِ الذي قَتَلَ الصَّيْدَ مِثْلُ مَا قَتَلَهُ، إِذَا كَانَ لَهُ مِثْلٌ مِنَ الْحَيَوَانِ الْإِنْسِيِّ، وقد حَكَمَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم فِي أنواعٍ من الصَّيْدِ بالْمِثْلِ، ولا يجوزُ العدولُ عن أحكامهم، ومن ذلك أنهم حَكَمُوا فِي النَّعَامَةِ بِبَدَنَةٍ، وَفِي بَقَرَةِ الْوَحْشِ بِبَقَرَةٍ، وَفِي الْغَزَالِ بِعَنْزٍ.

قَالَ السُّدِّيُّ: «أَمَّا جَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ، فَإِنْ قَتَلَ نَعَامَةً أَوْ حِمَارًا فَعَلَيْهِ بَدَنَةٌ، وَإِنْ قَتَلَ بَقَرَةً أَوْ أَيِّلًا أَوْ أَرْوَى فَعَلَيْهِ بَقَرَةٌ، أَوْ قَتَلَ غَزَالًا أَوْ أَرْنَبًا فَعَلَيْهِ شَاةٌ، وَإِنْ قَتَلَ ضَبًّا أَوْ حِرْبَاءَ أَوْ يَرْبُوعًا فَعَلَيْهِ سَخْلَةٌ قَدْ أَكَلَتِ الْعُشْبَ وَشَرِبَتِ اللَّبَنَ».[1]

وروى مالكٌ في الموطأ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ؛ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنِّي أَجْرَيْتُ أَنَا، وَصَاحِبٌ لِي فَرَسَيْنِ. نَسْتَبِقُ إِلَى ثُغْرَةِ ثَنِيَّةٍ. فَأَصَبْنَا ظَبْياً وَنَحْنُ مُحْرِمَانِ. فَمَاذَا تَرَى؟

فَقَالَ عُمَرُ، لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: تَعَالَ حَتَّى أَحْكُمَ أَنَا، وَأَنْتَ.

---

١ - تفسير الطبري (٨/ ٦٨١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: فَحَكَمَا عَلَيْهِ بِعَنْزٍ. فَوَلَّى الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: هذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْكُمَ فِي ظَبْيٍ، حَتَّى دَعَا رَجُلاً يَحْكُمُ مَعَهُ. فَسَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَوْلَ الرَّجُلِ، فَدَعَاهُ، فَسَأَلَهُ: هَلْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَةِ؟ فَقَالَ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفُ هذَا الرَّجُلَ الَّذِي حَكَمَ مَعِي؟ فَقَالَ: لاَ.

فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّكَ تَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَةِ، لأَوْجَعْتُكَ ضَرْباً. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدياً بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وَهذَا عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ.[1]

فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الصَّيْدُ مِثْلِيًّا فَيُحْكَمُ فِيهِ بِثَمَنِهِ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِذَا أَصَابَ الْمُحْرِمُ الصَّيْدَ يَحْكُمُ عَلَيْهِ جَزَاؤُهُ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ جَزَاؤُهُ ذَبَحَهُ، وَتَصَدَّقَ بِلَحْمِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ جَزَاؤُهُ قُوِّمَ جَزَاؤُهُ دَرَاهِمَ، ثُمَّ قُوِّمَتِ الدَّرَاهِمُ طَعَامًا، فَصَامَ مَكَانَ كُلِّ نِصْفِ صَاعٍ يَوْمًا، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِالطَّعَامِ الصِّيَامُ، وَإِنَّهُ إِذَا وُجِدَ الطَّعَامُ، وُجِدَ جَزَاؤُهُ».[2]

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قَضَى فِي بَيْضِ نَعَامٍ أَصَابَهُ مُحْرِمٌ بِقَدْرِ ثَمَنِهِ».[3]

﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾.

أَيْ: يجبُ عليه أَنْ يَذْبَحَ هَدْيًا جزاءَ الصَّيْدِ، وَيُفَرِّقَ لَحْمُهُ عَلَى مَسَاكِينِ الْحَرَمِ، وقوله تعالى: ﴿هَدْيًا﴾، يدلُّ على أَنَّهُ لا يجزىء فِي جزاءِ الصَّيْدِ أقلّ ممّا يجزئ في الأضحيةِ وَالْهَدْي.

﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾.

اختلف العلماء في كفارة قتل الصيد هل هي على الترتيب أو التخيير؟ على قولين:

---

١ - رواه مالك- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فِدْيَةِ مَا أُصِيبَ مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ، حديث رقم: ٢٣١

٢ - رواه سعيد بن منصور في التفسير- حديث رقم: ٨٣٢، والطبري في تفسيره (٨/ ٦٨٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه- حديث رقم: ١٣٣٦٠، والبيهقي في سننه- جُمَّاعُ أَبْوَابِ جَزَاءِ الصَّيْدِ، بَابُ مَنْ عَدَلَ صِيَامَ يَوْمٍ بِمُدَّيْنِ مِنْ طَعَامٍ، حديث رقم: ٩٨٩٨

٣ - رواه الدارقطني- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ الْمَوَاقِيتِ، حديث رقم: ٢٥٥٠، والبيهقي في السنن الكبرى- جُمَّاعُ أَبْوَابِ جَزَاءِ الطَّيْرِ، بَابُ بِيضِ النَّعَامَةِ يُصِيبُهَا الْمُحْرِمُ، حديث رقم: ١٠٠٢١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأول: أنها على الترتيب فإِذَا لَمْ يَجِدِ الْمُحْرِمُ مِثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النعَم أَوْ لَمْ يَكُنِ الصَّيْدُ الْمَقْتُولُ مِنْ ذَوَاتِ الْأَمْثَالِ، جاز له الإطعامُ، فإِذَا لَمْ يَجِدِ الإطعامَ انتقل إلى الصومِ، ولَا يُنْتَقَلُ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَى كَفَّارَةِ الطَّعَامِ إِلَّا عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْجَزَاءِ، وَلَا يُنْتَقَلُ عَنِ الْكَفَّارَةِ إِلَى الصَّوْمِ إِلَّا عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ الْإِطْعَامِ.

وَالثاني: أنها على التَّخْيِيرِ عملًا بظاهر الآية فإن (أَوْ) للتَّخْيِيرِ، وهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وهو الرَّاجِحُ.

فيُقوّم الصَّيْدُ الْمَقْتُولُ بِمِثْلُهُ مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ يُشْتَرَى بِهِ طَعَامٌ وَيُتَصَدَّقُ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، صَامَ عَنْ إِطْعَامِ كُلِّ مِسْكِينٍ يَوْمًا.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾.

أي: ليشعرَ بسُوءِ عَاقِبَةِ فِعْلِهِ بِمَا ترتب عليه مِنْ العقوبةِ على هَتْكِ حُرْمَةِ الْإِحْرَامِ بِقَتْلِ الصَّيْدِ، والذوق استعارة لمرارة الألم الحاصل بالعقاب على الذنب، وَالْوَبَالُ سُوءُ الْعَاقِبَةِ.

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾.

أي: عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ حالَ الإحرامِ قبل النَّهيِ والتحريمِ؛ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: عَمَّا سَلَفَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ قَبْلَ هَذَا النَّهْيِ وَالتَّحْرِيمِ.

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾.

أَيْ: وَمَنْ قَتَلَ الصَّيْدَ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ فِي الْإِسْلَامِ فيعاقبه الله تعالى عقابًا شديدًا.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، قُلْتُ لِعَطَاءٍ: مَا ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾؟ قَالَ: عَمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾؟ قَالَ: وَمَنْ عَادَ فِي الْإِسْلَامِ، فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ، وَعَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ الْكَفَّارَةُ.[1]

١ - تفسير الطبري (٨/ ٧١٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

أي: وَاللَّهُ عَزِيزٌ لا يُغالبُ، فإذا أراد معاقبة مخلوق لا يحول بينه وبين العقاب حائلٌ، ولا يمنعه عنه مانع، جرت سنته تعالى بإثابة من أطاعه، ومعاقبة من عصاه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٩٦

هذا بيانٌ لحكمِ صَيْدِ الْبَحْرِ، واستثناءٌ مما سبق من تحريم الصيد على المحرم، بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾.[1]

الْمُرَادُ بِالصَّيْدِ هُنَا الْمَصِيدُ، وَالْمُرَادُ بِالْبَحْرِ جَمِيعُ الْمِيَاهِ العذْبُ منها كَالنِّيلِ وَالْفُرَاتِ والبحيراتِ، والمالحُ كالمتوسطِ والمحيطاتِ، وَلفظُ الْبَحْرِ يَشْمَلُهَا جَمِيعًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.[2]

وَعَطَفَ اللهُ تَعَالَى طَعَامَ الْبَحْرِ عَلَى صَيْدِهِ ليشملَ ما استخرجه النَّاسُ منه، وَمَا لَفَظَهُ البحرُ إِلَى السَّاحِلِ مَيِّتًا، فإنَّ الْعَطْفَ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ فَقَالَ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ﴾ وَطَعَامُهُ مَا قُذِفَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: صَيْدُهُ مَا أُخِذَ مِنْهُ حَيًّا ﴿وَطَعَامُهُ﴾ مَا لَفَظَهُ مَيِّتًا. واستدل العلماء بهذه الآية على إباحة ميتة البحر، وبما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَاءِ الْبَحْرِ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ».[3]

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾.

أي: منفعة لكم، يعني المقيمين، وللسيارة، يعني المسافرين.

---

١ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٩٥

٢ – سورة فاطر: الآية/ ١٢

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٧٢٣٣، وأبو داود– كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابُ الْوُضُوءِ بِمَاءِ الْبَحْرِ، حديث رقم: ٨٣، والترمذي– أَبْوَابُ الطَّهَارَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مَاءِ الْبَحْرِ أَنَّهُ طَهُورٌ، حديث رقم: ٦٩، والنسائي– كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ، بَابُ مَيْتَةِ الْبَحْرِ، حديث رقم: ٤٣٥٠، وابن ماجه– كِتَابُ الطَّهَارَةِ وَسُنَنِهَا، بَابُ الْوُضُوءِ بِمَاءِ الْبَحْرِ، حديث رقم: ٣٨٦، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

هذا هو الموضع الثالث في هَذِهِ السُّورَةِ الذي ذَكَرَ الله تعالى فيه تَحْرِيمَ صَيْدِ الْبَرِّ عَلَى الْمُحْرِمِ الأول قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١]، وَالثاني قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، والثالث هذا الموضع: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾، وتكرر ذكر التحريم هنا لبيان أَنَّ صَيْدَ الْبَرِّ يَدْخُلُ فِيهِ مَا اصْطَادَهُ الْمُحْرِمُ وَمَا اصْطَادَهُ الْحَلَالُ؛ فعَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ، أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهُوَ بِالأَبْوَاءِ، أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ».[1]

وأيضًا لبيانِ أنَّ مُدَّةَ تحريمِ الصَّيْدِ يسيرةٌ، لأنها مدةُ الإحرام؛ لقوله: ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

تحذير من التعدي على حدود الله وانتهاك محارمه، وتهديد بعذابه إذ لا مفر من لقائه تعالى والوقوف بين يديه في الحشر للعرض والحساب.

١ - رواه البخاري- كتَابُ جَزَاءِ الصَّيْدِ، بَابٌ: إِذَا أَهْدَى لِلْمُحْرِمِ حِمَارًا وَحْشِيًّا حَيًّا لَمْ يَقْبَلْ، حديث رقم: ١٨٢٥، ومسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ تَحْرِيمِ الصَّيْدِ لِلْمُحْرِمِ، حديث رقم: ١١٩٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٩٦- ٩٩

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية بيان للعلة التي من أجلها نهى الله تعالى المؤمنين أن يُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ في بدايةِ السورةِ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ.....﴾. [الْمَائِدَةِ: ٢]، فيكون هذا من بابِ ردِّ العَجُزِ على الصَّدرِ، ويكون ما بينهما من الآياتِ كالجملِ المعترضةِ.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾.

يُطلَقُ لفظُ: (جَعَلَ) ويرادُ به الخلقُ والإيجادُ، ويُطلَقُ ويرادُ به التَّصييرُ، والظاهرُ أن المرادُ هنا معنى الخلقِ والإيجادِ، فيكون المعنى: خلق الله الكعبة وأَوْجَدَهَا لتَكُونَ قِيَامًا لِلنَّاسِ.

ولفظ الناس هنا عام باق على عمومه فيدخل فيه الناس جميعًا، ولا وجه لتخصيصه بأن المراد بهم قريش أو العرب كما قال بعض المفسرين، فإن الله تعالى جعل هذه المذكورات سببًا في قوام حياة الناس جميعًا.

سُمِّيَتْ الْكَعْبَةُ بهذه الاسمِ لارْتَفَعِ ذِكْرِهَا وَاشْتَهَارِ أَمْرُهَا فِي الْعَالَمِ، وَكُلُّ مرتفعٍ بَارِزٍ يقالُ له كَعْبٌ، وَمِنْهُ كَعْبُ الْقَدَمِ، وَيُقَالُ لِلْجَارِيَةِ كَاعِبٌ إِذَا نَتَأَ ثَدْيُهَا، وَيُقَالُ: (عَلَا كَعْبُ فُلَانٍ) إذا عَظُمَ أَمْرُهُ.

يخبر الله تعالى أنه أَوْجَدَ الْكَعْبَةَ لِتَستَقِيمَ حياةُ النَّاسِ، فبها قوامُ دِينِهِمْ الذي هو عصمة أمرهم، وبها يتحققُ الأمنُ ويزولُ عنهم الخوف؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.[1]

١ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الآية/ ٦٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾: «قِيَامُهَا أَنْ يَأْمَنَ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا».

وجعلها الله تعالى قِيَامًا لِمَنَاسِكِ حَجِّهِمْ، وَأَظهرَ مَعْلَمٍ من مَعَالِمِ دينهم في قِبلَةُ المسلمين؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَعْنِي قِيَامًا لِدِينِهِمْ، وَمَعَالِمَ لِحَجِّهِمْ».[1]

وَجَعَلَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ سَبَبًا لِإِقَامَةِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ، وَسَبَبًا لِقِوَامِ مَعِيشَةِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، فإِنَّ الْعَرَبَ كَانَ قوامُ عيشهم على الإِغَارةِ والسَّلبِ والنهبِ والقتلِ، فَإِذَا دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ زَالَ الْخَوْفُ، وعمَّ الأمنُ وَقَدَرُوا عَلَى الْأَسْفَارِ وَالتِّجَارَاتِ، فَلَوْلَا حُرْمَةُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ لَهَلَكُوا وَتَفَانَوْا مِنَ الْجُوعِ وَالشِّدَّةِ.

وَجَعَلَ الْهَدْيَ وهو مَا يُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ وَيُذْبَحُ هُنَاكَ، قِيَامًا لِلنَّاسِ لانتِفَاعِهِم بالتِّجَارَةِ فيهَا، ولانتفاعِ الفُقَرَاءِ بِلَحمِهَ الَّذِي تُفَرَّقُ عَلَيهم.

وَجَعَلَ الْقَلَائِدَ قِيَامًا لِلنَّاسِ؛ لأَنَّ مَنْ قَصَدَ الْبَيْتَ وَمَعَهُ هَدْيٌ قَدْ قَلَّدَهُ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ أَحَدٌ، فأمنَ على نفسِهِ ومالِهِ.

﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

أي جعل الله تعالى ذلك الذي ذكره، ليعلم الناس عظيم إحسانه إلى خلقه، وجميل لطفه بهم، ولولا ذلك لأفنى بعضهم بعضها، وعلمه بمكنونات صدورهم وتشريع ما يصلحهم، دليلُ علمه الشامل لما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

تذييلٌ يفيدُ المبالغة والتعميم بعد التخصيص، فليس علمه مقصور على ما تقدم، بل هو عالم الغيب والشهادة.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

لما أخبر الله تعالى عباده بعلمه الشامل لجميع خلقه وذلك يتضمن حكمته البالغة في تشريع الشرائع، وأنه لا يشرع الشرائع إلا لمصلحة العباد، بيَّنَ سبحانه هنا أن من تعدى حدوده،

---

١ - تفسير الطبري (٩/ ٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وانتهك حرماته فقد عرض نفسه لعقاب الله الشديد، وعذابه الأليم، ومن أطاعه بامتثال أمره واجتناب نهيه، فقد شملته مغفرة الله تعالى، ووسعته رحمته، فأعلم عباده بذلك ليقطع أعذارهم، ويجلي لهم أمرهم، وليس المراد مجرد الأمر بالعلم لكنه وعيدٌ وترهيبٌ، ووعدٌ وترغيبٌ.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ﴾.

ولما كان الحديث عن تشريع الشرائع، وبيان الأحكام، بين الله تعالى أنَّ سبيل معرفة تلك الشرائع والأحكام هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبلغ عن الله تعالى، فإذا ذكر تحليلًا أو تحريمًا فإنما يخبر عن الله تعالى؛ لأنه مبلغٌ عن الله تعالى، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.[1]

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

تهديد آخر مبالغة في قطع الأعذار، بأنه تعالى لا تخفى عليه خافية، وأنه تعالى يعلم مكنونات النفوس، وما تنطوي عليه الصدور.

١ - سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٨٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٠٠

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما نهى اللهُ تَعَالَى المؤمنين عن جملة من المحرمات في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. [الْمَائِدَةِ: ١٠٠]، ووصفها بإنها رِجْسٌ، قطع الله تعالى رجاء المؤمنين من الانتفاع بها أي نفع، ودفع توهم من يظن جواز الانتفاع بها في فعل الخير فقال: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾.

هذا خطاب من الله تعالى لرسوله مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ له فيه: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لمن اتبعك من المؤمنين لأنهم الذين ينتفعون بالخطاب: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾، أَيْ: لا يستوي عند الله تعالى الْخَبِيثُ الحرامُ الْمُسْتَقْذَرُ، وَالطَّيِّبُ الحلالُ الْمُستَلَّذُ، وهو كذلك لا يستوي عند أصحاب العقول السليمة والفطر السوية المستقيمة.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾.

ولو أعجبك أيها الإنسانُ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ الْمُسْتَقْذَرِ، فلا تغتر بكثرته.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي: فاتقوا الله يا أصحابَ العقولِ السليمةِ، والفطرِ السويةِ المستقيمةِ، واقنعوا بالحلال الطيب، ويغرنكم كثرة الحرام الخبيث، لتفلحوا في الدنيا والآخرة، فلا يتحقق لكم الإيمان حتى يكون هواكم تبعًا لما شرع لكم ربكم تبارك وتعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٠١، ١٠٢

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا نهى الله تعالى المؤمنين عن الخبائث المحرمات، وأمرهم بالطيبات الحلال، ونهاهم عن الاغترار بكثرة الخبيث في قوله: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾. [الْمَائِدَةِ: ١٠٠]، وكان بين الحلال البَيِّنِ والحرام البَيِّنِ أمورًا مشتبهةً لم يرد فيها حكم صريح بالإباحة أو التحريم، وإنما تركها الشارع قصدًا من باب الرفق بالعباد، وعظَ الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بترك السؤال عنها، لأنه إنما تركها رحمة بالنَّاسِ غير نسيانٍ.

سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِهْزَاءً، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا".[1]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا،

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، حديث رقم: ٤٦٢٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. قَالَ: فَقَامَ ذَاكَ الرَّجُلُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فُلَانٌ». فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

يؤدب الله تعالى عباده المؤمنين ويعظهم بنهيهم عن السؤال عمَّا لم يقعْ، وعمَّا لا فائدة فيه، وعمَّا لم يردْ فيه حكمُ عن الله تعالى وعن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما يترتب على السؤال من المشقةِ بالإيجاب أو التحريم بعد الإباحةِ، وقد نهى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن السؤال نهيًا شديدًا؛ لما يترتب عليها من التضييق على العباد بعد السعة والعفو؛ فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ المسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».[2]

وحذَّرَ منه غاية التحذير؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».[3]

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ الفِتَنِ، حديث رقم: ٧٠٨٩، ومسلم- كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، حديث رقم: ٢٣٥٩

٢ - رواه البخاري-كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لاَ يَعْنِيهِ، حديث رقم: ٧٢٨٩، ومسلم- كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، حديث رقم: ٢٣٥٨

٣ - رواه مسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ، حديث رقم: ١٣٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وامتثل الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم الأمر فامتنعوا عن السؤال، كما قال أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ".[1]

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ حَجَّةُ الْوَدَاعِ، قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُرْدِفٌ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَقَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ». وَقَدْ كَانَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. الْآيَةَ، فَكُنَّا نَذْكُرُهَا كَثِيرًا، فَتَمْنَعُنَا مِنْ مَسْأَلَتِهِ. فَأَتَيْنَا أَعْرَابِيًّا فَرَشَوْنَاهُ بُرْدًا، فَأَعْتَمَ بِهِ حَتَّى رَأَيْتُ حَاشِيَةَ الْبُرْدِ عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْنَا: سَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ كَيْفَ يُرْفَعُ الْعِلْمُ مِنَّا، وَبَيْنَ أَظْهُرِنَا الْمَصَاحِفُ قَدْ تَعَلَّمْنَا فِيهَا، وَعَلَّمْنَاهَا نِسَاءَنَا وَذَرَارِيَّنَا وَخَدَمَنَا، فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ، وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ حُمْرَةٌ مِنَ الْغَضَبِ، فَقَالَ: «أَيْ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَيْنَ أَظْهُرِهِمِ الْمَصَاحِفُ، لَمْ يُصْبِحُوا يَتَعَلَّقُوا بِالْحَرْفِ مِمَّا جَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ ذَهَابِ الْعِلْمِ أَنْ يَذْهَبَ أَهْلُهُ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.[2]

﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

أَيْ: وَإِنْ امتثلتم أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، بترك السؤال عنها، حتى ينزل فيها الْوَحْيُ عَلَى الرَّسُولِ يظهر لكم حكم الله فيها، وتظهر لكم حكمة الله تعالى في إرجاء نزولها.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾.

الضمير هنا متعلق: بـ ﴿أَشْيَاءَ﴾، أي: لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها فلم يوجبها عليكم.

---

[1] – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابٌ فِي بَيَانِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ، حديث رقم: ١٢

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٢٢٩٠، وابن ماجه– المقدمة، بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٢٢٨، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٧٨٦٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما يدل عل ذلك ما روي عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَرَّمَ حُرُمَاتٍ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا».[1]

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

أي: وَاللَّهُ سَاتِرٌ لذُنُوبِ العبادِ فلا يؤاخذ من تاب منهم، ﴿حَلِيمٌ﴾، لا يعاجلهم بالعقاب.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾.

أَيْ: قَدْ سَأَلَ مثلَ هَذِهِ الْمَسَائِلَ قومٌ مِنْ قَبْلِكُمْ، فلما فُرِضَتْ عليهم لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا وجحدوها فكفروا بذلك، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوا عنها إلا تعنتًا واستهزاءً.

---

١ - رواه الدارقطني- كِتَابُ الرَّضَاعِ، حديث رقم: ٤٣٩٦، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٦٧٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٠٣

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ....﴾. [الْمَائِدَةِ: ٩٦]، بيَّنَ هنا أنَّ البَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ وَالوَصِيلَةَ وَالحَام وإنْ كانت تُشْبِهُ الْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ فإنَّها ليست مما شَرَعَ الله تعالى، وَلَا تَعَبَّدَ بِهَا عبادَهُ، بل هي مما استحسنه المشركون بعقولهم، ونسبوها لله تعالى كذبًا وافتراءً عليه.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾.

لفظُ: ﴿جَعَلَ﴾. يأتي في القرآن على ثلاثة وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: يَأْتِي بِمَعْنَى حَكَمَ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إناثًا﴾. [الزُّخْرُفِ: ١٩]، وَالثَّانِي: يَأْتِي بِمَعْنَى خَلَقَ؛ وَمِنْهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾. [الْأَنْعَامِ: ١]، وَالثَّالِثُ: يَأْتِي بِمَعْنَى صَيَّرَ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا﴾.[١]

يخبر الله تعالى أنه مَا جَعَلَ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ، أَيْ: مَا حَكَمَ بِذَلِكَ، وَلَا شَرَعَهُ، وَلَا أَمَرَ بِهِ، ومِنْ في قوله: ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾، للمبالغةِ؛ أي لم يجعل أي شيء من ذلك، ولو كان أدنى ما يطلق عليه هذا اللفظ.

وَالْبَحِيرَةُ: فَعِيلَةٌ مِنَ الْبَحْرِ وَهُوَ الشَّقُّ، وَهِيَ النَّاقَةُ إِذَا نَتَجَتْ خَمْسَةَ أَبْطُنٍ، وَكَانَ آخِرُهَا ذَكَرًا شَقُّوا أُذُنَ النَّاقَةِ وَامْتَنَعُوا مِنْ رُكُوبِهَا وَذَبْحِهَا وَسَيَّبُوهَا لِآلِهَتِهِمْ، وَلَا يُجَزُّ لَهَا وَبَرٌ، وَلَا يُحْمَلُ عَلَى ظَهْرِهَا، وَلَا تُطْرَدُ عَنْ مَاءٍ، وَلَا تُمْنَعُ عَنْ مَرْعًى، وَلَا يُنْتَفَعُ بِهَا.

وَالسَّائِبَةُ: فَاعِلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَهِيَ الْمُخَلَّاةُ لَا قَيْدَ عَلَيْهَا، وَلَا رَاعِيَ لَهَا، وقِيلَ: هِيَ الَّتِي يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ، فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ.

---

١ - سُورَةُ الزُّخْرُفِ: الآية/ ٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: إِنَّ الْبَحِيرَةَ الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ، فَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَمَّا السَّائِبَةُ الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ، فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ.[1]

وَالْوَصِيلَةُ هِيَ الشَّاةُ إِذَا وَلَدَتْ سَبْعًا عَمَدَ إِلَى السَّابِعِ، فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا ذُبِحَ، وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى تُرِكَتْ، وَإِنْ كَانَ فِي بَطْنِهَا اثْنَانِ ذَكَرٌ وَأُنْثَى فَوَلَدَتْهُمَا قَالُوا: وَصَلَتْ أَخَاهَا، فَيُتْرَكَانِ جَمِيعًا لَا يُذْبَحَانِ.

وَالْحَامُ: كَانَ الْفَحْلُ إِذَا رَكِبَ مِنْ بَنِي بَنِيهِ عَشَرَةٌ أَوْ وَلَدَ وَلَدُهُ، قِيلَ حَامٌ، حُمِيَ ظَهْرُهُ، فَلَمْ يُزَمَّ وَلَمْ يُخْطَمْ وَلَمْ يُرْكَبْ.

وَروى ابن أبي حاتم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَوْلَهُ: ﴿وَلَا حَامٍ﴾. وَأَمَّا الْحَامِي فَالْفَحْلُ مِنَ الْإِبِلِ إِذَا وُلِدَ لِوَلَدِهِ، قَالُوا: حَمَى هَذَا ظَهْرَهُ، فَلَا يَحْمِلُونَ عَلَيْهِ شَيْئًا، وَلَا يَجُزُّونَ لَهُ وَبَرًا، وَلَا يَمْنَعُونَهُ مِنْ حِمًى، وَلَا مِنْ حَوْضٍ شَرِبَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ الْحَوْضُ لِغَيْرِ صَاحِبِهِ.[2]

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾.

أَيْ: مَا شَرَعَ اللَّهُ شَيئًا من تلكَ الْأَشْيَاء وَلَا ارتضاها لعبادِهِ، وَلَكِنَّ مُشْرِكِي العربِ افْتَرَوْا ذَلِكَ وَجَعَلُوهُ شَرْعًا، ونسبوه لله تعالى، وذلك أَنَّ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ مَآبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ، رَآهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي أَرَاكُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا لَهُ: هَذِهِ أَصْنَامٌ نَعْبُدُهَا، فَنَسْتَمْطِرُهَا فَتُمْطِرُنَا، ونَسْتَنْصِرُهَا فَتَنْصُرُنَا، فَقَالَ لَهُمْ: أَفَلَا تُعْطُونَنِي مِنْهَا صَنَمًا، فَأَسِيرَ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، فَيَعْبُدُوهُ؟ فَأَعْطَوْهُ صَنَمًا يُقَالُ لَهُ هُبَلُ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، فَنَصَبَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ.[3]

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ قِصَّةِ خُزَاعَةَ، حديث رقم: ٣٥٢١، ومسلم- كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ: النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، حديث رقم: ٢٨٥٦

٢ - تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٢٣)

٣ - سيرة ابن هشام (١/ ٧٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ، وَهْوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ».[1]

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ».[2]

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

لما اتبع أراذلُهُم ساداتِهِم في معتقدهم، فعبدوا غير الله، وحرموا على أنفسهم ما لم يأذن به الله تعالى، دلَّ ذلك على فسادِ عقولهم، فإنما سمي العقل عقلًا لأنه يمنع صاحبه من فعل القبيح، ولا أقبح من الكفر؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[3]

---

١ - رواه البخاري- كتاب العمل في الصلاة، بَابٌ: إِذَا انْفَلَتَتِ الدَّابَّةُ فِي الصَّلَاةِ وَقَالَ قَتَادَةُ إِنْ أُخِذَ ثَوْبُهُ يَتْبَعُ السَّارِقَ وَيَدَعُ الصَّلَاةَ، حديث رقم: ١٢١٢، ومسلم- كِتَابُ صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ، بَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ، حديث رقم: ٩٠١

٢ - رواه البخاري- سورة الْمَائِدَةِ، باب: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ﴾، حديث رقم: ٤٦٢٣، ومسلم-كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ: النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، حديث رقم: ٢٨٥٦

٣ - سورة الْمُلْكِ: الآية/ ١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٠٤

لما بين الله تعالى في الآية السابقة أنهم أحدثوا في دين الله تعالى ما ليس منه، وأحلوا ما حرم الله، وحرموا ما لم يأذن به الله، ثم افتروا على الله تعالى بنسبة ذلك إليه، وأتاهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليبين لهم شرع الله الذي ارتضاه لعباده، وَقِيلَ لَهُمْ: تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ من الشرائع التي تدرأ عنكم المفاسد، وتجلب لكم المصالح والسعادة في الدارين، وتعالوا إلى الرَّسُولِ الذي يبلغ عن الله تعالى، ويبين لكم مراده تعالى، أعرضوا استكبارًا وعنادًا.

﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.

أي: قَالُوا يكفينا من الاعتقادِ والعباداتِ ما وجَدنَا عَليهِ آباءَنا، وهي شبهةُ كلِ مقلدٍ بالباطل ولا دليلَ له؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.[1]

﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

أَيْ: أيكفيهم ذلك ولو كان آباؤُهُم الذين قلدوهم دينهم، لا يعلَمُون شيئًا مِن شرعِ الله تعالى، ممَّا أوجبه على العبادِ، أو حرمه عليهم، وَلَا يَهتَدُونَ إِلَى مَصَالِحِهِمُ الدُّنيَوِيَّةِ؟

١ - سورة الزُّخْرُفِ: الآية/ ٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٠٥

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أخبر عن ضلال المشركين، وتمسكهم بما كان عليه آباؤهم من الضلال بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾. [الْمَائِدَةِ: ١٠٤]، حذَّر الله تعالى المؤمنين أن يسلكوا سبيلهم، في المتابعة على الباطل، والرضى بالمنكر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

(عَلَيْكُمْ): اسم فعل أمر بمعنى الزموا، و(أَنْفُسَكُمْ): منصوب على الإغراء. والتقدير: الزمُوا أنْفُسَكُمْ، أي: احِفْظُواهَا مِمَّا يُضِلَّهَا.

يأمر الله تعالى المؤمنين أن يلزموا أنفسهم فيحفظوها من العقائد الفاسدة وملابسة الضلال، وأن يحولوا بينها وبين الابتداع في دين الله تعالى، واقتراف الذنوب والمعاصي، ولَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَفَرَ بالله تعالى وَسَلَكَ سُبلَ الضَّلالِ، إِذَا آمَنُوا هُم بِرَبِّهِمْ وَأَطَاعُوهُ، وأمَرُوا بالمعروفِ ونهوا عن المنكَرِ.

وظاهر هذه الآية جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد توهم بعض الناس ذلك فبين لهم أبو بكر رضي الله عنه تأويلها، وأن معناها ليس ما يظنون؛ فعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وَإِنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ».[١]

وَعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ تَصْنَعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١، وابن ماجه- كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حديث رقم: ٤٠٠٥، وابن حبان- كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمُتَأَوِّلَ لِلْآيِ قَدْ يُخْطِئُ فِي تَأْوِيلِهِ لَهَا، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ، حديث رقم: ٣٠٥، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اهْتَدَيْتُمْ﴾، قَالَ: سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَا يَدَانِ لَكَ بِهِ، فَعَلَيْكَ خُوَيْصَّةَ نَفْسِكَ، وَدَعْ أَمْرَ الْعَوَامِّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ عَلَى مِثْلِ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا، يَعْمَلُونَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ».[1]

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنِّي لَأَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَتَذَاكَرُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقُلْتُ أَنَا: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، فَأَقْبَلُوا عَلَيَّ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَقَالُوا: تَنْزِعُ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَا تَعْرِفُهَا وَلَا تَدْرِي مَا تَأْوِيلُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ تَكَلَّمْتُ ثُمَّ أَقْبَلُوا يَتَحَدَّثُونَ، فَلَمَّا حَضَرَ قِيَامُهُمْ، قَالُوا: إِنَّكَ غُلَامٌ حَدَثُ السِّنِّ، وَإِنَّكَ نَزَعْتَ بِآيَةٍ لَا تَدْرِي مَا هِيَ، وَعَسَى أَنْ تُدْرِكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ لَا يَضُرُّكَ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتَ".[2]

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، قَالَ: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ السَّوْطُ وَالسَّيْفُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَعَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ».[3]

وَعَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، قَالَ: «لَيْسَ هَذَا أَوَانُهَا، فَقُولُوهَا مَا قُبِلَتْ مِنْكُمْ فَإِذَا رُدَّتْ عَلَيْكُمْ فَعَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ».[4]

---

١ - رواه أبو داود- كِتَاب الْمَلَاحِمِ، بَابُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، حديث رقم: ٤٣٤١، والترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ، حديث رقم: ٣٠٥٨، وابن ماجه- كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، حديث رقم: ٤٠١٤، والحاكم- كِتَابُ الرِّقَاقِ، حديث رقم: ٧٩١٢ وصححه ووافقه الذهبي.

٢ - تفسير الطبري (٩/ ٤٦)

٣ - رواه سعيد بن منصور في التفسير- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَائِدَةِ، حديث رقم: ٨٤٤

٤ - رواه الطبراني في الكبير- حديث رقم: ٩٠٧٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

خبرٌ الغرضُ منه الترغيب فيما عند الله من الثواب بالإقبال على طاعته، والترهيب من عقابه حال المخالفة والإعراض عن الطاعة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٠٦- ١٠٨

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَّرَنَا فِي آخِرِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِأَنَّ مَرْجِعَنَا إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنَّهُ يُحَاسِبُنَا وَيُجَازِينَا، نَاسَبَ أَنْ يُرْشِدَنَا فِي أَثَرِ ذَلِكَ إِلَى الْوَصِيَّةِ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَإِلَى الْعِنَايَةِ بِالْإِشْهَادِ عَلَيْهَا لِئَلَّا تَضِيعَ.[1]

سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ وَعَدِيًّا بْنَ بَدَّاءٍ كَانَا نَصْرَانِيَّيْنِ خَرَجَا إِلَى الشَّامِ لِلتِّجَارَةِ وَخَرَجَ مَعَهُمَا فَتًى مِنْ بَنِي سَهْمٍ يُقَالُ لَهُ: بَدِيلٌ ابن أَبِي مَرْيَمَ، مَوْلَى لعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَكَانَ مُسْلِمًا مُهَاجِرًا، فَلَمَّا قَدِمُوا الشَّامَ مَرِضَ بَدِيلٌ فَكَتَبَ كِتَابًا ذَكَرَ فِيهِ جَمِيعَ مَا مَعَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ مَتَاعِهِ وَلَمْ يُخْبِرْ تَمِيمًا وَعَدِيًّا بِذَلِكَ، ثُمَّ أَوْصَى إِلَيْهِمَا وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَدْفَعَا مَتَاعَهُ إِذَا رَجَعَا إِلَى أَهْلِهِ، وَمَاتَ بَدِيلٌ فَأَخَذَا مِنْ مَتَاعِهِ إِنَاءً مِنْ فِضَّةٍ مَنْقُوشًا بِالذَّهَبِ قَوَامُهُ ثَلَاثَمِائَةِ مِثْقَالٍ، وَدَفَعَا بَاقِيَ الْمَتَاعِ إِلَى أَهْلِهِ لَمَّا قَدِمَا، فَفَتَّشُوا فَوَجَدُوا الصَّحِيفَةَ، وَفِيهَا ذِكْرُ الْإِنَاءِ، فَقَالُوا لِتَمِيمٍ وَعَدِيٍّ: أَيْنَ الْإِنَاءُ؟ فَقَالَا لَا نَدْرِي، والذي دَفَعَ إِلَيْنَا دَفَعْنَاهُ إِلَيْكُمْ، فَرَفَعُوا الْوَاقِعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

روى البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، وَعَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ، فَلَمَّا قَدِمَا بِتَرِكَتِهِ، فَقَدُوا

---

١ - تفسير المنار (٧/ ١٨٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَامًا مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصًا مِنْ ذَهَبٍ، «فَأَحْلَفَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ثُمَّ وُجِدَ الجَامُ بِمَكَّةَ، فَقَالُوا: ابْتَعْنَاهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيٍّ، فَقَامَ رَجُلاَنِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَحَلَفَا لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا، وَإِنَّ الجَامَ لِصَاحِبِهِمْ، قَالَ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ﴾.[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾.

يأمرُ الله تعالى المؤمنين أن يُشهِدُوا على وصيتهم إذا شارف أحدهم على الموت وظهرت عليه علاماته، اثْنَينِ ذَوَي عَدْلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ يُشهِد شخصينِ آخَرَينِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ لَمْ يَجِدْ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وفي قَولِه: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾، حذفُ إيجازٍ تقديرُهُ: شَهَادَةُ اثْنَيْنِ بَيْنِكُمْ، حُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ فَأَخَذَ إِعْرَابَهُ.

ومعنى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾، إذا قرب أجله، وظهرت عليه أمارات الموت، وليس الصد من ذلك حالة الغرغرة؛ ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردت قراءة القرآن.

﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وَصَفَ الِاثْنَيْنِ، بِأَنْ يَكُونَا عَدْلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ولا يجزئُ غيرُهُمَا مع وجودِ الْمُسْلِمِينَ.

﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾.

يعني إذا لم يوجد أحدٌ من المسلمين عند الوصية حال السفر جاز لكم أن تشهدوا اثنين من أهل الكتاب، و (أَوْ) هنا لِلتَّقْسِيمِ لَا لِلتَّخْيِيرِ، وَالتَّقْسِيمُ بِاعْتِبَارِ اخْتِلَافِ الْحَالَيْنِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ.....﴾، حديث رقم: ٢٧٨٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، قَالَ: مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، يَعْنِي: أَهْلَ الْكِتَابِ.

قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾.

يعني: إِنْ أَنْتُمْ سافرتم للتجارة، يقال: ضرب في الأرض أي سافر للتجارة، وخُصَّ السفر للتجارة بالذكر؛ لأنه مظنة عدم وجود مؤمنين، أمَّا سفر الجهاد فلا يكاد يعدم فيه مؤمنين.

قال القرطبي: وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ فَأَوْصَيْتُمْ إِلَى اثْنَيْنِ عَدْلَيْنِ فِي ظَنِّكُمْ، وَدَفَعْتُمْ إِلَيْهِمَا مَا مَعَكُمْ مِنَ الْمَالِ، ثُمَّ مُتُّمْ وَذَهَبَا إِلَى وَرَثَتِكُمْ بِالتَّرِكَةِ فَارْتَابُوا فِي أمرهما، وَادَّعَوْا عَلَيْهِمَا خِيَانَةً، فَالْحُكْمُ أَنْ تَحْبِسُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ، أَيْ تَسْتَوْثِقُوا مِنْهُمَا.[1]

وَشَهَادَةُ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ جائزةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْوَصِيَّةِ حَالَ السَّفَرِ خَاصَّةً لِلضَّرُورَةِ، إذا كانَ لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ، فَأَمَّا مَعَ وُجُودِ مُسْلِمٍ فَلَا تجوزُ شَهَادَتهم.

عَنِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بِدَقُوقَاءَ هَذِهِ وَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُشْهِدُهُ عَلَى وَصِيَّتِهِ فَأَشْهَدَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَدِمَا الْكُوفَةَ فَأَتَيَا أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، فَأَخْبَرَاهُ وَقَدِمَا بِتَرِكَتِهِ وَوَصِيَّتِهِ، فَقَالَ الْأَشْعَرِيُّ: هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ بَعْدَ الَّذِي كَانَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَحْلَفَهُمَا بَعْدَ الْعَصْرِ بِاللَّهِ مَا خَانَا وَلَا كَذَبَا وَلَا بَدَّلَا، وَلَا كَتَمَا، وَلَا غَيَّرَا وَإِنَّهَا لَوَصِيَّةُ الرَّجُلِ وَتَرِكَتُهُ فَأَمْضَى شَهَادَتَهُمَا ".[2]

وَعَنْ شُرَيْحٍ قَالَ: «لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ إِلَّا فِي السَّفَرِ، وَلَا تَجُوزُ فِي السَّفَرِ إِلَّا فِي الْوَصِيَّةِ».[3]

---

١ - تفسير القرطبي (٦/ ٣٥١، ٣٥٢)

٢ - رواه أبو داود- كِتَاب الْأَقْضِيَةِ، بَابُ شَهَادَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَفِي الْوَصِيَّةِ فِي السَّفَرِ، حديث رقم: ٣٦٠٥، وسعيد بن منصور في التفسير- باب، تفسير سورة المائدة، حديث رقم: ٨٥٧، والطبري في التفسير (٩/ ٧٦)، والبيهقي في السنن الكبرى- كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ: مَنْ أَجَازَ شَهَادَةَ أَهْلِ الذِّمَّةِ عَلَى الْوَصِيَّةِ فِي السَّفَرِ عِنْدَ عَدَمِ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حديث رقم: ٢٠٦٢٦

٣ - رواه عبد الرزاق في مصنفه- حديث رقم: ١٥٥٣٨، وابن أبي شيبة في مصنفه- حديث رقم: ٢٢٤٤٦، وانظر تفسير الطبري (٩/ ٦٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الإمام أحمد: لَا تجوز شَهَادَة أهل الْكتاب فِي شَيْء إلا فِي الْوَصِيَّة فِي السّفر إذا لم يُوجد غَيره قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، من أهل الْكتاب وَقد أجاز أبو مُوسَى الأشعري شَهَادَتهمَا فِي السَّفرِ على الْوَصِيَّة فَلَا تجوز شهاداتهم إلا فِي هَذَا الْموضع.[1]

وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْمَوْتَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُصِيبَةً، وَالْمَوْتُ وَإِنْ كَانَ مُصِيبَةً عُظْمَى، وَرَزِيَّةً كُبْرَى، فَأَعْظَمُ مِنْهُ الْغَفْلَةُ عَنْهُ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ ذِكْرِهِ.[2]

قوله تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾.

أي: تمنعُونَهُما من الانصِرَافِ مِنْ بَعْدِ صَلَاةٍ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِيهَا، ترهيبًا لهما من تبديل الشهادة، وتذكيرًا لهما بالوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة، والألف واللام في: ﴿الصَّلَاةِ﴾ للعهد، قَالَ الزُّهْرِيُّ: يَعْنِي صَلَاةَ الْمُسْلِمِينَ، وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي صَلَاةَ الْعَصْرِ.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾.

أَيْ: فَإِنِ ارْتَبْتُمْ فِي أَمْرِهِما واطلعتم على خيانة منهما، وأنهما قد كتما أَوْ غَلَّا شيئًا فَيَحْلِفَانِ بِاللَّهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ بمحضرِ النَّاسِ، فيَقُولُ كلُ واحدٍ منهما: أُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّ صَاحِبَكُمْ لَبِهَذَا أَوْصَى، وَإِنَّ هَذِهِ لَتَرِكَتُهُ، وَمَا خُنْتُ وَلَا كَذَبتُ وَلَا بَدَّلتُ، وَلَا كَتَمتُ، وَلَا غَيَّرتُ، ولَا أَشْتَرِي بِيمِينِي باللهِ ثَمَنًا ولا آكل بها سُحتًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾. جملةٌ معترضةٌ بَيْنَ الْقَسَمِ وَالْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، وَالْمَعْنَى: إِنِ ارْتَبْتُمْ فِي شَأْنِهِمَا فَحَلِّفُوهُمَا.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

أي: وَلَوْ كَانَ الَّذِي نَقْسِمُ لَهُ ذَا قُرْبَى مِنَّا، قال الفخر الرازي: وَخَصَّ ذَا الْقُرْبَى بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْمَيْلَ إِلَيْهِمْ أَتَمُّ وَالْمُدَاهَنَةَ بِسَبَبِهِمْ أَعْظَمُ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النِّسَاءِ: ١٣٥].[3]

---

١ - مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (ص: ٤٣٥)

٢ - تفسير القرطبي (٦/ ٣٥٢)

٣ - تفسير الرازي (١٢/ ٤٥٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾.

أَيْ: وَلَا نَكْتُمُ الشَّهَادَةَ الَّتِي أَمَرَ اللَّه بِإِقَامَتِهَا؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]، وَأَضَافَ الشَّهَادَةَ إِلَى اسمِهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ هُوَ الْآمِرُ بِإِقَامَتِهَا النَّاهِي عَنْ كِتْمَانِهَا، وتَعْظِيمًا لأَمْرِهَا.

﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾.

فإنْ كتمنا شَهَادَةَ اللَّهِ فإِنَّا إِنْ فعلنا ذلك مِنَ الآثِمِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ العِقَابَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٠٦- ١٠٨

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾، العُثُورُ بالضّمّ: الاطّلاعُ على أَمْر من غَيْرِ طَلَب، وعَثَرَ على سِرّ الرجلِ: اطَّلَعَ، وأَعْثَرَه: أَطْلَعَه؛ ومنه قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذالِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الْكَهْف: ٢١]، أي: أَطْلَعنا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَطْلُبُونَهُمْ وَقَدْ خَفِيَ عَلَيْهِمْ مَوْضِعُهُمْ.

وَ﴿اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أَي: اسْتَوْجَبَا إِثْمًا، يَعْنِي بِالْخِيَانَةِ، وَأَخْذِهِمَا مَا لَيْسَ لَهُمَا بِالشَّهَادَةِ الْبَاطِلَةِ.

وسمي المأخوذ إثما كما يقال لما يؤخذ من المظلوم مظلمة.

والمعنى: إِنِ اطَّلَعَ أَوْلِيَاءُ الْمُوصِي عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَيْنِ كَذَبَا، وخَانَا ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾، أي: فليقمْ شَاهِدَانِ آخَرَانِ مَنْ أَوْلِيَاءِ الْمُوصِي فَيَحْلِفَانِ بِاللَّهِ: مَا كَانَ صَاحِبُنَا لَيُوصِيَ بِهَذَا، أَوْ إِنَّهُمَا لَكَاذِبَانِ، وَلَشَهَادَتُنَا أَولَى بالسَّماعِ والاعتبارِ لأنها أصدقُ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وأقربُ إلى الحقّ.

﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: وَمَا اعْتَدَيْنَا عَلَيْهِمَا بِتُهْمَةٍ بَاطِلَةٍ، فيما ادعيناه عليهما من الخيانة بتغيير الوصية، ومَا تعدَينَا الْحَقَّ فِيمَا قلناها فيهما، ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. إِنْ كُنَّا حَلَفْنَا عَلَى بَاطِلٍ، وَأَخَذْنَا مَا لَيْسَ لنا بحقٍّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

أي: ذَلِكَ الحكمُ الذي حكمنا به مِنْ تَكْلِيفِ أَوْلِيَاءِ الْمُوصِي بِالشَّهادَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى مَشْهَدٍ مِنَ النَّاسِ، وبيان كذبِ الشاهدين السابقين وخيانتهما، وردُّ أيمانهم، فكان ذلك أحرى أن يأتى الشهداء في مثل هذه الحوادث بِالشَّهادَةِ عَلى وَجْهِها، أَوْ يَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمان شهودٍ آخرين بعد إيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾.

أَيِ: اتَّقُوا اللَّهَ بامتثال أمره واجتناب نهيه، واسْمَعُوا سماعَ من يستجيب، لا سماعَ من يعرض عن الإجابة.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

يعني: واللهُ لا يوفقُ مَنْ خرجَ عن طاعتِهِ، وبارزه بالعصيان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٠٩

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ وما بَعْدَهَا مِنَ الآياتِ لِمَا قَبْلَهَا أنَّ الله تعالى لما ذكر اعتقادَ النصارى في المسيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَليهِ السَّلامُ، وبيَّنَ كُفْرَهُم بسببِ تَأْلِيهِهِ وَعِبَادَتِهِ من دون الله تعالى في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الْآيَةَ [الْمَائِدَةِ: ٧٢]، وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٧٣]، فذَكَرَ الله تعالى شَهَادَةَ الْمَسِيحِ عِيسَى عَلَيهِ السَّلامُ عَلَى النَّصَارَى ببراءَتِهِ مِنْهُم وبِأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِتَأْلِيهِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَيكون ذلك من بابِ ردِّ العَجُزِ على الصَّدْرِ، ومَا بَيْنَ الموضعينِ جُمَلٌ مُعْتَرِضَةٌ نَشَأَ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾.

يخبر الله تعالى عباده عن يوم القيامة ومات فيه من أهوال عظامٍ وحوادث جسامٍ، ومنها سؤال الله تعالى الرُّسُلَ عمَّا أجابهم به أقوامهم، ترهيبًا للناس عن مخالفة رسلها، وتقريعًا للمخالفين.

وَفِي الكلام حذف اختصار تَقْدِيرُهُ: اذْكُرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ. وقيلَ العامل مقدرٌ للظرف المتقدم وهو ﴿يَوْمَ﴾. فيكونُ تَقْدِيرُهُ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ يَكُونُ هَوْلٌ عَظِيمٌ لا تدركه العقولُ، ولا تبلغه الأوهامُ، وَحُذِفَ الْعَامِلُ لِتَذْهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ كُلَّ مَذْهَبٍ.

﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾.

أي: فَيَقُولُ لَهُم اللهُ: مَاذَا أَجَابَكُمُ الْأَقْوَامُ الَّذِينَ أُرْسِلْتُمْ إِلَيْهِمْ؟

والغرض من السؤال أمران:

الأول: شهادة الرسلِ على أقوامهم، من آمن منهم وصدق المرسلين ومن كفر منهم وكذبهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والثاني: وتقريع الذين كفروا وكذبوا الرسلَ عليهم السلام؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.[1]

﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقُولُونَ لِلرَّبِّ، عَزَّ وَجَلَّ: لَا عِلْمَ لَنَا، إِلَّا عِلْمَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَفْزَعُونَ فَيَقُولُونَ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾.[2]

وَقَالَ السُّدِّيُ: نَزَلُوا مَنْزِلًا ذُهِلَتْ فِيهِ الْعُقُولُ، فَلَمَّا سُئِلُوا قَالُوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾. ثُمَّ نَزَلُوا مَنْزِلًا آخَرَ، فَشَهِدُوا عَلَى قَوْمِهِمْ.[3]

أي: يقولون لله تعالى: لَا عِلْمَ لَنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِكَ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَنَحْنُ إِنَّمَا نَطَّلِعُ عَلَى ظَوَاهِرِ العِبَادِ، ولَا نَعْلَمُ بَواطِنَهُم، وَأَنْتَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، تعلمُ السِّرَ وأَخْفَى، فنفوضُ العِلْمَ إليك، وَهُوَ تَأَدُّبٌ مِنْهُم مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

عَلَّامُ مُبَالَغَةٌ فِي عَالِمٍ، وَالْغُيُوبُ جمعُ الْغَيْبِ وهو مَا كَانَ غَائِبًا عَنِ الْخَلْقِ.

تذييلٌ الغرض منه بيان علة تفويضهم العلم لله تعالى؛ فإن الإيمان والكفر أعمال قلبية لا يطلع عليها إلا الله تعالى وهي غيبٌ بالنسبة للرسل عليهم السلام.

---

١ - سورة التَّكْوِيرِ: الآية/ ٨، ٩

٢ - «تفسير الطبري (٩/ ١١١)

٣ - «تفسير الطبري (٩/ ١١٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١٠

لما ذكر الله تعالى حال الرسل يوم القيامة عند سؤال الله تعالى لهم عن أقوامهم وماذا أجابوهم به، تقريعًا وتوبيخًا لمن كذبوهم، ذكر الله تعالى مشهدًا خاصًا من تلك المشاهد التي يسأل الله تعالى فيها الرسل عن أقوامهم، فذكر هنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلامُ، تقريعًا وتوبيخًا للنصارى الذين عبدوه من دون الله تعالى.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾.

في الكلام حذف تقديره: وَاذْكُرْ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وجاءُ الكلامُ باللفظِ الدالِّ على الماضي لأنه سيحدث حتمًا، ولقرب وقوعه.

يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى مَا امْتَنَّ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وأُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من النعم العظيمة والآلاءِ الجسيمةِ، التي خصهما بها.

وقال تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي﴾، والمرادُ جميع ما أنعم به عليه، وأفرد اللفظ لأنه اسم جنس، بدلالة ما بعدها؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.[1]

﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.

أي: إِذْ أَعَنْتُكَ وَقَوَّيْتُكَ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَيْدِ وَهُوَ الْقُوَّةُ، بِرُوحِ الْقُدُسِ وَهُوَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾.

أَمَّا كَلَامُهُ فِي الْمَهْدِ فَهُوَ قَوْلُهُ عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٣٠]، ﴿وَكَهْلًا﴾ أَيْ: وَتَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فِي كِبَرِكَ، وَضُمِّنَ الفعلُ: ﴿تُكَلِّمُ﴾ معنى تَدْعُو؛ لِأَنَّ كَلَامَهُ النَّاسَ فِي كُهُولَتِهِ لَيْسَ بِأَمْرٍ عَجِيبٍ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١٠

قوله: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

أي: وَاذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ، قيل: الْمُرَادُ بِهِ الْكِتَابَةُ وَهِيَ الْخَطُّ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنْهُ جِنْسُ الْكُتُبِ، ويكون ذكرُ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ بعده من بابِ عطفِ الخاصِ على العامِ. وَالْحِكْمَةُ: هِيَ الْفَهْمُ لِمَعَانِي الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْه وَهُوَ الْإِنْجِيلُ.

وَالتَّوْرَاةُ اسمُ للكتابِ الْمُنَزَّلِ عَلَى رسولِ اللهِ مُوسَى الْكَلِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْإِنْجِيلُ اسمُ للكتابِ الْمُنَزَّلِ عَلَى رسولِ اللهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾.

المرادُ بالْخَلْقِ هنا: التَّقْدِيرُ لا الإيجادُ مِنَ العَدَمِ، وقد تقدم بيانه في في سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، والمعنى: وَاذْكُرْ إِذْ تُشَكِّلُ الطِّينَ عَلَى هَيْئَةِ الطَّائِرِ بِإِذْنِي لَكَ فِي ذَلِكَ، فَتَنْفُخُ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي شَكَّلْتَهَا بِإِذْنِي لَكَ، فَتَكُونُ طيرًا ذَا رُوحٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَخَلْقِهِ.

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِي﴾، عند كل معجزة لنَفْيِ تَوَهُّمِ أنْ يكونَ في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾.

تقدم بيانه فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ.....﴾. الْآيَة/ ٤٩

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.

أي: وَاذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ، إِذْ كَفَفْتُ عَنْكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ هَمُّوا بِقَتْلِكَ، فعَصَمتُكَ منهم، فلم يصل إليك منهم شيءٌ مما أرادوا، معَ مَا جِئْتَهُمْ به من الدلائلِ على نبوتك، ومع شَاهَدُوهُ مِنَ المعجزَاتِ.

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

أي: فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ولم يؤمنوا بنبوةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما هذا الذي يفعله عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ من الخَوارِقِ والْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ، إِلَّا سِحْرٌ واضحٌ، وليست آيات دالة على صدقه، وصحة نبوته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١١

تقديرُ الكلامِ واذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ، فَإِنَّ إِيمَانَ الْحَوَارِيِّينَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا امْتَنَّ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيهِ؛ إِذْ جَعْلَهم اللهُ تَعَالَى أَنْصَارًا لَهُ يُؤزرُونَهُ ويَدعُونَ إِلى دِينِهِ.

قِيلَ: الْمُرَادُ بقولِهِ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾، أي: أَمَرْتُهُمْ عَلَى بالإيمانِ على لِسَانِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حِينَ قَالَ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٢]، فاستجابوا له وآمنوا به، وهو الرَّاجِحُ لهذهِ الآيةِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَذَا الْوَحْيِ وَحَيُ الإِلْهَامِ؛ كَمَا أَوْحَى تَعَالَى إِلَى أُمِّ مُوسَى؛ وَكَمَا أَوْحَى إِلَى النَّحْلِ قَالَ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ.....﴾ [الْقَصَصِ: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ.....﴾.[١]

فيكون المعنى أنَّ اللهَ تَعَالَى أَلْهَمَهُمْ تَصْدِيقَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ والْمُبَادَرَةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عِنْدَ سَمَاعِ دَعْوَتِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَلْهَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ. وَقَالَ السُّدِّي: قَذَفْتُ فِي قُلُوبِهِمْ ذَلِكَ.

﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾.

(أَنْ) تَفْسِيرِيَّةٌ لِذَلِكَ الْوَحْيِ الَّذِي أَلْقَاهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْحَوَارِيِّينَ.

﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

أي: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا طائعون منقادون لكل ما تدعونا إليه، والخِطابُ لعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد ورد تفصيل هذا الإجمال في سورة آل عمران كما تقدم.

قال الفخر الرازي: وَإِنَّمَا قَدَّمَ ذِكْرَ الْإِيمَانِ عَلَى الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ صِفَةُ الْقَلْبِ وَالْإِسْلَامَ عِبَارَةٌ عَنِ الِانْقِيَادِ وَالْخُضُوعِ فِي الظَّاهِرِ، يَعْنِي آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَانْقَادُوا بِظَوَاهِرِهِمْ.[٢]

---

١ - سورةُ النَّحْلِ: الآية/ ٦٨

٢ - تفسير الرازي (١٢/ ٤٦١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١٢، ١١٣

الظَّاهرُ أنَّ هذا مِنْ تَمَامِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيكون تقديره: اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي، واذْكُرْ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ...

وهذا تَلَطُّفٌ منَ الْحَوَارِيِّينَ فِي السُّؤَالِ، وَأَدَبٌ مِنهُم مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وليس شكًّا منهم في قدرة الله تعالى، وإنما هذا كمن يقول لمن يعلم أنه يستطيع أن يفعل أمرًا: هل تستطيع أن تفعل كذا؟

من بَابِ التَّلَطُّفِ فِي السُّؤَالِ، والتماسِ العذرِ عند عدمِ الإجابةِ؛ ومثل هذا قولُ يَحْيَى الْمَازِنِيّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ؟

وَلا يجوز أن يقال: هذا شَكٌّ منهم فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ هَذَا السُّؤَالَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِمْ قَبْلَ اسْتِحْكَامِ مَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وإِنَّمَا أرادَ الْحَوَارِيُّونَ آيَةً لتطمَئِنَ قُلُوبُهُمْ بِالْإِيمَانِ؛ كما قال إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [الْبَقَرَة: ٢٦٠]، ولم يشك إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقرأَ الْكِسَائِيُّ: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ بتاءِ الخطابِ وَنَصْبِ لفظ رَبَّكَ. والمعنى: هَلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تسألَ رَبَّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟

وَقَالَ السُّدِّيُّ: الْمَعْنَى هَلْ يُطِيعُكَ رَبُّكَ إِنْ سَأَلْتَهُ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟

وَالْمَائِدَةُ هِيَ الْخِوَانُ الَّذِي عَلَيْهِ الطَّعَامُ. قَالَ قُطْرُبٌ: لَا تَكُونُ الْمَائِدَةُ مَائِدَةً حَتَّى يَكُونَ عَلَيْهَا طَعَامٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قِيلَ: خِوَانٌ.

وَيُسَمَّى الطَّعَامُ أَيْضًا مَائِدَةً تَجَوُّزًا لِأَنَّهُ يُؤْكَلُ عَلَى الْمَائِدَةِ، كَقَوْلِهِمْ لِلْمَطَرِ سَمَاءٌ.[1]

١ - تفسير القرطبي (٦/ ٣٦٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

فَقَالَ لهم الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَلَا تَسْأَلُوا اللهَ آيةً، خوفًا عليهم أنْ يصيبهم ما أوصاب المكذبين بالآياتِ، فَإِنَّ السؤالَ أشبهَ بسؤالِ أهلِ العنادِ والتَّعَنُّتِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾. [الْإِسْرَاءِ: ٥٩]، ولا يدلُّ جوابُ الْمَسِيحِ عليهم بذلك أنهم شَكُّوا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾.

أَرَادُوا الْمُعَايَنَةَ الَّتِي لَا يَدْخُلُهَا رَيْبٌ واليقينَ الذي لا ياخله شكٌّ، والطمأنينةَ التي هي أسمى مرتبة، والتي أرادها إبراهيم الخليلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ".[1]

﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

أَيْ: وَنَعْلَمَ عِلْمًا يقينيًا نَزْدَادَ بِهِ إِيمَانًا بِكَ، وتصديقًا لك، وَنَكُونَ مِنَ الشَّاهِدِينَ برُؤْيَةِ هَذِهِ الآيةِ العَجِيبةِ على كَمَالِ قُدْرَةِ اللهِ تعالى، فَنُبَلِّغُهَا مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٨٤٢، عن ابن عباس، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١٤

لَمَّا طَلَبَ الحواريون من الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سؤال الله تعالى إنزال المائدة، وبينوا أنهم ما سألوها سؤالَ شاكٍّ في قدرة الله تعالى ولا سؤال متعنتٍ، وإنما أردوا الرفعةَ عند الله بزيادةِ الإيمانِ، طمأنينة القلوب، استجاب لهم عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فسأل الله تعالى سؤالَ متضرعٍ فقال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾.

وقوله: اللَّهُمَّ أي: يا الله والميم بدلٌ مِنْ ياءِ النِّدَاء، و(رَبَّنا) مُنَادَى آخر، وكَرَّرَ النِّدَاءَ مُبَالَغَةً فِي الضَّرَاعَةِ، وَدَعَا بصِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ إظهارًا للافتقار، وليكون للإجابة.

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾.

أي: يَكُونُ يَوْمُ نُزُولِهَا عِيدًا لنا كُلَّ سَنَةٍ، وسمي العيدُ عيدًا لِأَنَّهُ يَعُودُ كُلَّ سَنَةٍ.

﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾.

أَيْ: يَكُونُ عِيدًا لمن تقدمت حياته منا، ولمن تأخرَ مِنَ الأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ.

﴿وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

أي: وَدَلَالَةٌ شَاهِدَةٌ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِكَ، وَحُجَّةٌ قاطعةٌ عَلَى صِدْقِ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

أَيْ: وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ أَعْطَى؛ لِأَنَّكَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ؛ وَلِأَنَّكَ تَبْتَدِئُ بِالرِّزْقِ.

قال الفخر الرازي: تَأَمَّلْ فِي هَذَا التَّرْتِيبِ فَإِنَّ الْحَوَارِيِّينَ لَمَّا سَأَلُوا الْمَائِدَةَ ذَكَرُوا فِي طَلَبِهَا أَغْرَاضًا، فَقَدَّمُوا ذِكْرَ الْأَكْلِ فَقَالُوا: نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْها، وَأَخَّرُوا الْأَغْرَاضَ الدِّينِيَّةَ الرُّوحَانِيَّةَ، فَأَمَّا عِيسَى فَإِنَّهُ لَمَّا طَلَبَ الْمَائِدَةَ وَذَكَرَ أَغْرَاضَهُ فِيهَا، قَدَّمَ الْأَغْرَاضَ الدِّينِيَّةَ وَأَخَّرَ غَرَضَ الْأَكْلِ، حَيْثُ قَالَ: وَارْزُقْنا، وَعِنْدَ هَذَا يَلُوحُ لَكَ مَرَاتِبُ دَرَجَاتِ الْأَرْوَاحِ فِي كَوْنِ بَعْضِهَا رُوحَانِيَّةً وَبَعْضِهَا جُسْمَانِيَّةً، ثُمَّ إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِشِدَّةِ صَفَاءِ دِينِهِ وَإِشْرَاقِ رُوحِهِ لَمَّا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذَكَرَ الرِّزْقَ بِقَوْلِهِ وَارْزُقْنا لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ، بَلِ انْتَقَلَ مِنَ الرزق إلى الرازق فَقَالَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.[1]

١ - تفسير الرازي (١٢/ ٤٦٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١٥

لَمَّا سألَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه تبارك وتعالى إنزالَ المائِدَةِ إجَابَةً لِلْحَوَارِيِّينَ وَعْدَهم اللَّهُ تَعَالَى بإنزالها وعدًا مشروطًا فقال تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، واختلف العُلَمَاءُ في المائِدَةِ هل أنزلها الله تعالى، أم لا؟

فقال جُمْهُورُ العُلَمَاءِ: نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾.

وبما رُوى عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَتِ المائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا وَلَا يَدَّخِرُوا لِغَدٍ، فَخَانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا لِغَدٍ، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ».[1]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَالْحَوَارِيِّينَ، خِوَانٌ عَلَيْهِ خُبْزٌ وَسَمَكٌ، يَأْكُلُونَ مِنْهُ أَيْنَمَا نَزَلُوا إِذَا شَاؤُوا.

وقال فريقٌ: لما شرط الله عليهم نزولها بقوله: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، اسْتَعْفَوْا مِنْهَا، وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ.

فعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قَالَ: هُوَ مَثَلٌ ضُرب، وَلَمْ يَنْزِلْ شَيْءٌ.

وَقَالَ أَيْضًا: أَبَوْهَا حِينَ عُرِضَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ إِنْ كَفَرُوا، فَأَبَوْا أَنْ تَنزل عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ الْحَسَنُ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، قَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا، فَلَمْ تَنْزِلْ.

ويؤيدُ ذَلِكَ أَنَّ خَبَرَ الْمَائِدَةِ لَا تَعْرِفُهُ النَّصَارَى ولا ذكرَ له فِي كُتُبِهِمْ، وَلَوْ كَانَتْ نَزَلَتْ لَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ.

ويجاب عما استدل به الجمهور بأَنَّ الوعدَ بنزولها الآية مشروطٌ بالعذابِ الشديدِ لمن كفرَ بعد نزولها.

---

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ المائِدَةِ، حديث رقم: ٣٠٦١، والبزار– حديث رقم: ١٤١٩، بسند ضعيف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما حديث عَمَّارٍ فلا يصح، قال الترمذي: لَا نَعْلَمُ لِلْحَدِيثِ المَرْفُوعِ أَصْلًا، والله أعلم أي ذلك كان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١٦

هذا مما يخاطب الله تعالى به عِيسَى عليه السلام تقريعًا وتوبيخًا للنصارى عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وتَعْرِيفًا له أَنَّ قَوْمَهُ غَيَّرُوا بَعْدَهُ، وَادَّعَوْا عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وهذا أبلغ في إقامةِ الحجةِ عليهم، حين يتبرأ منهم المسيح عليه السلام عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ.

وقيل: هَذَا الْكَلَامَ خاطب الله تعالى به عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، والصحيحُ أَنَّ اللَّه تعالى خاطبه به بِدليلِ قَوْلِهِ بعدها: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [الْمَائِدَةِ: ١١٩]، وَالْمُرَادُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وقدمنا عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾. [الْمَائِدَةِ: ٧٢]، أنَّ من مذاهبِ النصارى اعتقادُ أنَّ عِيسَى وَمَرْيَمَ إِلَهَيْنِ.

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾.

لَمَّا سأله الله تعالى عمَّا قاله النصارى استعظم المسيح هذا القولَ، وَيُقَالُ: أَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ مِنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ، فبادر بتنزيه الله تعالى، فقَالَ سُبْحَانَكَ؛ لأنَّ اعتقادَ الصاحبة والولدَ لله تعالى سبٌّ قبيحٌ، وجرمٌ شنيعٌ في حقِّ الله تعالى، ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، هذا إقرارٌ بعبوديته لله تعالى، وَإِظْهَارٌ للذُّلِّ والمسكنةِ، وَمُبَالَغَةٌ منه فِي الْأَدَبِ بين يدي الله تعالى.

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾.

أَيْ: إِنْ كَانَ صَدَرَ مِنِّي شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَقَدْ عَلِمْتَهُ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ ذَلِكَ وَلَمْ آمُرْهُمْ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ.

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

يعني: أَنتَ يَا رَبِّ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا أَضْمَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَلَمْ أَنْطِقْ بِهِ، فَكَيْفَ بِمَا قَدْ نَطَقْتُ بِهِ وَأَظْهَرْتُهُ بِجَوَارِحِي؟ فأنتَ تَعْلَمُ مَا أُخْفِيهِ وَمَا ينْطَوِي عَلَيْهِ ضَمِيرِي، وَلَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِمَّا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ مِنْ عِلْمِكَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

أي: إنك أنت العالم بخفيّات الأمور التي لا يطلع عليها سواك، وتقديم الضمير: (أنت) للتخصيص؛ أي: لا يعلمها غيرك، و (عَلَّامُ) مبالغة من عالم، و (الْغُيُوبِ) جمع غيب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١٧

أيْ: مَا تَجَاوَزْتُ حَدَّ التَّبْلِيغِ لِمَا أَمَرْتَنِي بِهِ، وَمَا أَمَرْتُهُمْ بشيءٍ غَيرَ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ، وفي الكلام نفيٌ لكلِ قولٍ مخالفٌ لما أمره الله تعالى به، ففي هذه الآية تعميم للنفي بعد التخصيص في الآية السابقة، ونفي كلِ قولٍ مغايرٍ للمأمورِ يدخلُ فيه انتفاءُ صدورِ القولِ المذكور دخولًا أوليًا.

والذي يليقُ بحالِ الرسلِ عليهم السلام الوقوف عِنْدَ حَدِّ التَّبْلِيغِ لِمَا أمروا به، بغير زيادة أو نقصان، فكيف يدعو عيسى عليه السلام الناس لعبادته، وقد نزه الله تعالى رسله عن ذلك فقال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[1]

قَالَ الفَخرُ الرَّازِيُّ: كَانَ الْأَصْلُ أَنْ يُقَالَ مَا أَمَرْتُهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ، إِلَّا أَنَّهُ وَضَعَ الْقَوْلَ مَوْضِعَ الْأَمْرِ نُزُولًا عَلَى مُوجِبِ الْأَدَبِ؛ لِئَلَّا يَجْعَلَ نَفْسَهُ وَرَبَّهُ آمِرَيْنِ مَعًا.[2]

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

(أَن) مُفَسِّرَةٌ لأمر الله تعالى له، وهو: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، وهو أمر الله تعالى للرسل جميعًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحْلِ: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٥]، فهي دَعْوَةُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ وعيسى عليه السلام منهم.

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

قَالَ السُّدِّيُّ: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾. أَمَّا الرَّقِيبُ: فَهُوَ الْحَفِيظُ.

---

١ - سورة آل عمرَان: الآية/ ٧٩

٢ - تفسير الرازي (١٢/ ٤٦٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَيْ: وَكُنْتُ رَقِيبًا عليهم وَقْتَ وجودي بينهم، أَمْنَعُهُمْ مِنَ الوقوعِ في الشِّرْكِ، وأَنْ يَقُولُوا مِثلَ هَذَا القول الشَّنِيع، فَلَمَّا قَبَضْتَنِي إِلَيْكَ، كُنْتَ أَنْتَ الْحَفِيظَ عَلَيْهِمْ دُونِي؛ لِأَنِّي لا أعلمُ الغيبَ، وإِنَّمَا شَهِدْتُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مَا عَمِلُوهُ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وأنت لا يخفى عليك شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

قَالَ الْحَسَنُ: الْوَفَاةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: وَفَاةُ الْمَوْتِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] يَعْنِي وَقْتَ انْقِضَاءِ أَجَلِهَا. وَوَفَاةَ النَّوْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الانعام: ٦٠] يَعْنِي الَّذِي يُنِيمُكُمْ. وَوَفَاةَ الرَّفْعِ قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].[1]

١ - تفسير القرطبي (٦/ ٣٧٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١٨

هذا القول من عيسى عليه السلام يدل على التسليم الكامل لأمر الله تعالى، وتفويض أمر هؤلاء الذين كفروا وعبدوه من دون الله تعالى، وهذا كما قال الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا على المشركين: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فإن الله تعالى يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، لا رادَّ لأمرِه، ولا معقبَ لحكمه، ولا يسأل عما يفعلُ، وليس في الآية إشكالٌ كما زعم بعض المفسرين، ولا قال ذلك عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعْطَافِ لَهُمْ وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ، بل هو التسليم والتفويض المحض لله تعالى.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا» وَالْآيَةُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.[١]

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾.

في الكلام حذف إيجاز تقديره: إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك الذين أمرتهم بعبادتك، فخالفوا أمرك وعبدوا غيرك.

﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

أي: وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنك القادرُ على الثواب والعقاب، الذي لا رادَّ لأمرِه، الْحَكِيمُ الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمةٍ بالغةٍ.

وتذييلُ الآية بقوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، دليلُ على أن الكلام لم يخرج على وجه الاستعطاف بل على وجه التفويض والتسليم.

١ - رواه النسائي- كِتَابُ الِافْتِتَاحِ، تَرْدِيدُ الْآيَةِ، حديث رقم: ١٠١٠، وابن ماجه- كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، حديث رقم: ١٣٥٠، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١٩

لما تبرأ عِيسَى عليه السلام من عبادة النصارى له، وفوض أمرهم إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، تَصْدِيقًا له فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾. [الْمَائِدَةِ: ١١٧]، أي: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يعني يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ما كانوا يتصفون به في الدنيا من صِدْقِ الاعْتِقَادِ، وَالْمُرَادُ بِالصَّادِقِينَ هُنَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُوَحِدُونَ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمَ يَنْفَعُ الْمُوَحِّدِينَ تَوْحِيدُهُمْ.

وهو دليلٌ على أنَّ ذلك الخطاب سيكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وليس بعد رفع المسيح كما قال بعض المفسرين.

ووردَ في لفظِ: (يَوْم) قراءتان متواترتان، الأولى بِالرَّفْعِ (يَوْمُ) وهي قِرَاءَةُ الجُمْهُورِ، والتَّقْدِيرُ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمُ نَفْعِ الصِّدْقِ، عَلَى أَنَّ (هَذَا) مبتدأٌ و(يَوْمُ) خبره.

وَقَرَأَ نَافِعٌ بِنَصْبِ (يَوْم)، وَفِيهِ وُجُوهٌ: أرجحها أنه مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ؛ أَيْ: قَالَ اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ لِعِيسَى يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ.

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

أَيْ: مَاكِثِينَ فِي جَنَّاتِ النعيمِ أَبَدًا لَا يبغون عنها حولًا، وَلَا يَزُولُونَ عنها أبدًا، ولا ينقضي نعيمهم.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

يحلُ اللهُ تعالى عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا، وهو أعظم عطاءٍ للمؤمنين؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التَّوْبَةِ: ٧٢]، ورضوا عن ربهم بما حباهم به من النعيم المقيم، ولا فوز أعظم منه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٢٠

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا الردُّ على النَّصَارَى الذين عبدوا عِيسَى وَأُمَّهُ من دون الله تعالى؛ فإنَّ عِيسَى عليه السلام لم يخلق شيئًا ولا يملك شيئًا، والله تعالى هو مالك الملك وخالق كل شيء؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾.[1]

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾.

تَقْدِيمُ الجارِّ والْمَجْرُورِ (لِلَّهِ) يفِيدُ لِلْقَصْرِ؛ أَيْ: لِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، لا يملك أحدٌ غيرُهُ فِيهِنَّ مثقالَ ذرةٍ، وذكر لفظ (مَا) لتشمل العاقل وغير العاقل، فهي أعم أشمل من (مَنْ) التي للعاقل.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وهو تعالى لا يعجزه شيءٌ من خِلقِهِ، الكلُّ تَحْتَ سلطانِهِ، وقَهْرِهِ، ورَهنَ مَشِيئَتِهِ وأَمْرِهِ.

تَمَّ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمَائِدَةِ ولله الحمدُ والمِنَّةُ.

---

١ - سورةُ النَّحْلِ: الآية/ ١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١

سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً لَيْلًا، يُشَيِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ورد ذلك في جملة من الأحاديث والآثار عَنْ جَابِرٍ وابْنِ مَسْعُودٍ، وابْنِ عُمَرَ وابْنِ عَبَّاسٍ، وأَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ ولا يخلو واحدٌ منها من ضعفٍ.

من ذلك ما روى عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ شَيَّعَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأُفُقَ».[١]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً بِمَكَّةَ لَيْلًا وَحَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَ حَوْلَهَا بِالتَّسْبِيحِ».[٢]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا كَوْكَبَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، تَسُدُّ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ، لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، وَالْأَرْضِ تَرْتَجُّ»، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».[٣]

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً يُشَيِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ».[٤]

---

١ – رواه الحاكم– كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ، حديث رقم: ٣٢٢٦، والبيهقي في شعب الإيمان– فصل في فضائل السور والآيات، ذكر سورة الأنعام، حديث رقم: ٢٢٠٨

٢ – رواه الطبراني في الكبير– حديث رقم: ١٢٩٣٠

٣ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث رقم: ٦٤٤٧، والبيهقي في في السنن الصغرى– كتاب فضائل القرآن، بَابُ تَخْصِيصِ السَّبْعِ الطِّوَالِ بِالذِّكْرِ، حديث رقم: ٩٦٥، وشعب لإيمان–فصل في فضائل السور والآيات، ذكر سورة الأنعام، حديث رقم: ٢٤٣٣

٤ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث رقم: ٦٤٤٧، والصغير– حديث رقم: ٢٢٠، وأبو نعيم في الحلية ط السعادة (٣/ ٤٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعِلَّةُ فِي أَنَّهَا نَزَلَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، وَإِبْطَالِ مَذَاهِبِ الْمُبْطِلِينَ وَالْمُلْحِدِينَ.[1]

مُنَاسَبَةُ السُّورَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

خُتِمَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ بقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. [الْمَائِدَةِ: ١١٩]، وبدأتْ هذه السُّورَةُ بذكرِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، الذي يدلُّ على عظيمِ مُلْكِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾.

مقاصدُ السُّورَةِ:

تناولت هذه السورة العظيمة أصول الإيمان، ودلائل وحدانية الله تعالى، وقدرته الباهرة، ولفت أنظار المشركين إلى آيات الله الكونية العظيمة، وذكر مصارع الغابرين من المنكرين لؤلوهية الخالق، المكذبين للرسل، وذكر شيء من دلائل قدرة الله بالنظر في عجائب مخلوقاته، وذكر قهره للخلق، واستئثاره بمفاتح الغيب، وإثبات الوحي والرسالة والردُّ على من أنكر ذلك، وتفنيد حجج المشركين في العقيدة، والتحليل والتحريم، وتثبيت دعائم الاعتقاد بالحجة والمناظرة والبرهان، وذكر الوصايا العشر التي نزلت في كل كتاب، ولم تخل منها شريعة من الشرائع، وذكر القيامة وإثبات البعث والحساب والجزاء.

---

١ - تفسير الرازي (١٢/ ٤٧١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

افتتحَ اللهُ تعالى سُوَرًا خَمْسَةً بالْحَمْدِ: سُورَةَ الْفَاتِحَةِ، وَسُورَةَ الْأَنْعَامِ، وسُورَةَ الْكَهْفِ، وَسُورَةَ سَبَأٍ، وَسُورَةَ فَاطِرٍ؛ لما ذكر في كل سُورَةٍ مِنَ النِّعَمِ التي تستوجبُ الحمدَ، ففي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ نعمةُ ايجادِ الخلق من العدم وتعهدهم بالرعاية والنعم، وَفِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ نعمةُ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَجَعْلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، وَفِي سُورَةِ الْكَهْفِ نعمةُ إنزالِ القرآن على رسولِ اللهِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لهدايةِ الخلقِ، وَفِي سُورَةِ سَبَأٍ نعمةُ تفردِهِ بالملك لِمَا فِي السَّماواتِ وَلِمَا فِي الْأَرْضِ، ولو كان ذلك لغير الله تعالى لضاع الخلقُ، لإمساكه خشية الإنفاق، وَفِي سُورَةِ فَاطِرٍ، نعمةُ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ من العدمِ على غير مثالٍ سابقٍ وما فيهما من بدائع الخلقِ، ونعمة جَعلِ الملائكةِ رسلًا، وما يتصفون به من تمام الخلق، وجمال الصورةِ، وروعة التكوين.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

الألف واللام في لفظ: (للإستغراق)، فالله تعالى مستحقٌ لكل حمدٍ، وهو تعالى أهلٌ لِجَمِيعِ الْمَحَامِدِ، لِإِيجَادِ السَّمَاوَاتِ وما فيها الْعَوَالِمِ الْعُلْوِيَّةِ، وَلِإِيجَادِ الْأَرْضِ وما فيها من الكائناتِ، بهذا النظامِ البديع، والترتيب العجيب، والنِّسَبِ الدقيقةِ كل ذلك من العدمِ.

﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾.

الظُّلُمَاتُ جمعُ ظُلْمَةٍ وهي كَمَا قَالَ الرَّاغِبُ: عَدَمُ النُّورِ، وَالنُّورُ الضَّوْءُ الْمُنْتَشِرُ الَّذِي يُعِينُ عَلَى الْإِبْصَارِ.

والمعنى: وَأَنشَأَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، وَصيرهُما كذلك بيانًا لدلائل قدرته، ولنفعِ العِبَادِ بهمَا فِي الليلِ وَالنَّهَارِ.

وَجَمَعَ الظُّلُماتِ وَأَفْرَدَ النُّورَ؛ لِكَوْنِ النُّورِ أَشْرَفَ، ولأَنَّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَإِنْ تَعَدَّدَتْ مَصَادِرُهُ، والظُّلُمَاتُ كثيرةٌ مُتَعَدِّدَةٌ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وغايرَ تَعَالَى بَيْنَ فِعْلِ (خَلَقَ) وَفِعْلِ (جَعَلَ) لأنَّ الخَلَقَ بِإِيجَادِ الذَّوَاتِ من العدمِ، وَالجَعَلَ لأَعْرَاضِ الذَّوَاتِ وَأَحْوَالِهَا، ولأَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ مَعْنَى التَّقْدِيرِ، وَالْجَعْلَ فِيه مَعْنَى التَّضْمِينِ وَالتَّصْيِيرِ.

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

أي: ومع تفرده تعالى بالخلقِ والإيجادِ، كَفَرَ بِهِ بَعْضُ خلقِهِ، وَجَعَلُوا له شركاءَ يُساوونَ بينهُم وبينَهُ تعالى في العبادةِ، وأصلُ العدلِ: المساواةُ.

وفي الآيةِ رَدٌّ عَلَى الْمَجُوسِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ لِلْعَالَمِ خَالقَينِ، الأولُ النُّورُ خَالِقُ الْخَيْرِ، وَالثَّانِي الظُّلامُ خَالِقُ الشَّرِّ، وردٌّ على المشركين الذين عبدوا غير الله تعالى معه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٢

هذا الاستئنافُ للربطِ بين الدليلِ الكوني وهو خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإيجادُ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، ودليلِ خلقِ الأنفسِ؛ لكون دليل خلقِ الأنفس أقرب من سائر الأدلة الكونية؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، والتغافل عن الحجة الواضحة الجلية أقبح، وتخصيصُ خلقِهم بالذكر، لاستدلال بذلك على البعث؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ﴾.[1]

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾. يَعْنِي: هُوَ الَّذِي خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ الَّذِي هُوَ أَصْلُكُمْ وَمِنْهُ خَرَجتم، وتقديم الضمير للقصر؛ أي: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ لا غيرهُ. والالتفاتُ من الغيبةِ للخطاب للتشنيع والتوبيخ على منكري البعث، كيف غفلوا عن أصل خلقتهم؟

﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾. يَعْنِي: الْمَوْتَ.

يعني: ثم قدر لكلِّ واحد منكم أَجَلاً خاصًا إلى أمدٍ معينٍ ينتهي إليه، وأتى بـ ﴿ثُمَّ﴾ لما بين خلقِهم وتقديرِ آجالِهم من التفاوت الزمني، وَهُوَ عُمُرُ كُلِّ إِنْسَانٍ.

﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾.

أي: وَأَجَلٌ مُسَمًّى استأثرَ اللهُ تَعَالَى بعلمِهِ لبعثكم جميعًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ [لقمان: ٣٤]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٨٧]، وهو مَا بَيْنَ أَنْ يَمُوتَ كلُ إنسانٍ إِلَى أَنْ يُبْعَثَ، وَهو الْأَجَلُ الْعَامُّ، الذي هُوَ عُمُرُ الدُّنْيَا إلى انْتِهَائِهَا وَزَوَالِهَا.

---

١ - سورة يس: الأية/ ٧٨، ٧٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.

الِامْتِرَاءُ: الشَّكُّ وَالتَّرَدُّدُ فِي الْأَمْرِ، أَيْ: وأنتم مع سَوْقِ تِلكَ الأدلةِ على قدرةِ الخالق وعظمته، تشُكُّونَ وتَتَرَدَّدُونَ فِي الْبَعْثِ بعدَ الموتِ، وَإِعَادَةِ الْخَلْقِ، وَحُذِفَ مُتَعَلِّقُ تَمْتَرُونَ وهو الْبَعْثُ لِظُهُورِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣- ٥

أَيْ: وَهُوَ الْمَعْبُودُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ؛ الذي تَأْلَهُهُ الخلائقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾. [الزُّخْرُف: ٨٤]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾.[1]

والإِلَهُ الْمَعْبُودُ، والتَّأَلُّهُ: العِبَادَةُ؛ قال رؤْبَة بْنُ العَجّاج:

لِلّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّهِ **** سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

أَيْ: مِنْ عِبادَتِي، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾. قَالَ: عِبَادَتَكَ، إِنَّمَا كَانَ فِرْعَوْنُ يُعْبَدُ وَلَا يَعْبُدُ.

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾.

فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ حَالِ عِبَادِهِ.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.

أَيْ: وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ مِنَ الطَاعَاتِ، وَمَا تَقْتَرِفُونَ مِنَ الآثَامِ، لِيُجَازِيَكُمْ بِهَا يومَ القِيامَةِ، و(مَا) تفيدُ العموم فيدخل في ذلك جَمِيعُ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

الْإِعْرَاضُ: تَرْكُ النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تعالى.

أَيْ: وَمَا تَأْتِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ - الَّذِينَ يَعْدِلُونَ أَوْثَانَهُمْ بِخَالِقِهِمْ - مِنْ حُجَّةٍ مِنْ حُجَجِ اللهِ، وَدَلِيلٍ مِنْ دَلَائِلِ وَحْدَانِيَّتِهِ التي أنزلها الله تعالى في كتابه، أو آيَةٌ مِنْ آياتِ اللهِ المبثوثةِ في الكونِ، التي تدل على قدرَةِ اللهِ تعالى وعظمتِهِ وتفردِهِ بالخلقِ والإرادةِ، إِلَّا أَعْرَضُوا عَنْهَا، وتغافلوا فلم

[1] - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٤٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ينتفعوا بها؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.[1]

و (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾، لِاسْتِغْرَاقِ الْجِنْسِ فيشمل كل آية تأتيهم من الله تعالى، و (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، للتبعضِ لكثرة آيَاتِ الله تعالى الدالةِ على وَحْدَانِيَّتِهِ، وصدق رسله.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾.

في الكلام حذفُ اختصارٍ تقديرُهُ: إِنْ أَعْرَضُوا عن النظر في الآياتِ الكونيةِ الدالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تعالى، فَقَدْ كَذَّبُوا بما هو أعظمُ منها قدرًا وأظهرُ منها دلالة على وَحْدَانِيَّتِهِ تعالى وهو القرآن الذي أنزله على رسولِهِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحداهم به فعجزوا عن معارضته.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

تهديدٌ ووعيدٌ لهم على تكذيبهم لكلامِ اللهِ تعالى، ولِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واسْتِهزَائِهِم بِهِ.

وفي الآية احتباكٌ وهو مِنْ أساليبِ القرآنِ البلاغيةِ، وتقديرُ الكلامِ: فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ واسْتَهزَؤا به، فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يُكَذِّبونَ ويَسْتَهْزِئُونَ.

---

١ - سورة يُوسُفَ: الآية/ ١٠٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٦

لما توعد الله تعالى المشركين بالعذاب على إعراضهم عن آيات الله واستهزائهم بها، ذَكَّرَهُم بمصارع الغابرين، وخوفهم أن يصيبهم ما أصابهم من العذاب الدنيوي، حتى لا يغتروا بالحياة الدنيا، وما هم فيه من أسباب القوة، ورغد العيش.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾.

سؤال الغرض منه الإنكار على هؤلاء المكذبين المعاندين، وقد رأوا بأعينهم آثار الغابرين كدِيَارِ عادٍ، ومدائنِ ثمودَ، شاهدةً على ما كانوا عليه من القوة والتمكين في الأرض، وسمعوا من أخبارهم ما تواترت به الأنباءُ، وتناقلته الأجيال ما يقوم مقام رؤية العيان، والقرنُ القوم المقترنون في مدة من الزمان، واختلف العلماء في مدة القرن، فالأشهر أنها مائة سنة؛ لقَولِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ».[1]

﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾.

أي: جَعَلنَا لَهُم مِن أسبابِ القوةِ والتمكينِ ما لم نجعلْ لكُم، وَمَعْنَى: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ جَعَلنَا لَهُم مَكَانًا فِيهَا، فثَبَّتْنَاهُمْ وَمَلَّكْنَاهُمْ، كنايةً عن القدرة على التصرفِ في أسبابِ الحياةِ.

١ - رواه مسلم- كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ، وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ»، حديث رقم: ٢٥٣٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾.

أي: أنزلنا المطرَ عليهم متتابعًا غَزِيرًا لا يتخلف عن أوانه، فلا جدبَ ولا قحطَ، وَالسَّمَاءُ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَطَرِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ».[1]

ومنه قَوْلُ مُعَاوِيَةَ بْنِ مَالِكٍ:

إِذَا نَـــزَلَ السَّـــمَاءُ بِأَرْضِ قَـــوْمٍ **** رَعَيْنَـــاهُ وَإِنْ كَـــانُوا غِضَـــابَا

وَالْمِدْرَارُ: على وزنِ مِفْعَالٍ صيغةُ مُبَالَغَةٍ؛ أي: الْكَثِيرُ الدَّرِّ وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِمْ دَرَّ اللَّبَنُ إِذَا كثرَ نُزُولُه مِنَ الضَّرعِ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: مِدْرارًا مُتَتَابِعًا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾.

أَيْ: وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، نعمةً منَّا عليهم.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

أَيْ: فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وإعراضِهِم عن شُكرِ نعم الله تعالى، وتكذيبهم للرسل، وأَوْجَدْنَا مِنْ بَعْدِ كُلِّ قَرْنٍ مِنْهُم قَرْنًا آخَرِينَ.

---

١ - رواه البخاري- أَبْوَابُ الِاسْتِسْقَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، حديث رقم: ١٠٣٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٧

يخبر الله تعالى عن شدةِ عناد المشركين، وكبرهم عن قبول الحقّ وهو بيان لما أجمل في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾. [الْأَنْعَامِ: ٤]، والمعنى: وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا كما اقترحوا فقد اقترحوا إِنْزَالَ كِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ، كما اقترحوا إِنْزَالَ الْقُرْآنِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، كما اقترحوا إِنْزَالَ مَلَكٍ من الملائِكةِ؛ كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنزلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلا بَشَرًا رَسُولا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٩٠- ٩٣]، أي: وَلَوْ نَزَّلَ اللهُ عَلَى رسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكتوبًا في صحيفةٍ، فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ليتحققوا منه، ويرتفع عنهم كلُ ارتيابٍ ويزولَ عنهم كلُ إِشْكَالٍ، أنه منزل من السماء، لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا كبرًا وعِنادًا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ.

وقال: ﴿نَزَّلْنَا﴾. للْمُبَالَغَةِ بِطُولِ مُكْثِ الْكِتَابِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

وتخصيصُ اللمسِ لأنَّهُ أنفى للشَّكِّ، وتقييده بالأيدي لدفع احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ مَجَازًا.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لبيانِ أنَّ سببَ دفع الحقّ وعدمِ قبولِهِ هو الكفرُ وليس إمعان النظر، وإعمال الفكر.

وقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، وما قالوا: هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ، مبالغةً منهم الجحودِ والعنادِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٨، ٩

(لَوْلَا) لِلتَّحْضِيضِ بِمَعْنَى: (هَلَّا)؛ أي: وقال هؤلاء المكذبون المعاندون هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُصَدِّقُهُ فيمَا يخبر به عن اللهِ، وَيَشْهَدُ له على ما يدعيه من الرسالةِ، واقتراحهم هذا من أباطيلهم الْمُحقّقة، وخُرافاتهم الْمُلفّقة، فإنهم لا طاقة لهم برؤية الملك، ولا يمكنهم التأسي به في العبادات؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ رَأَوْا الْمَلَكَ عَلَى صُورَتِهِ لَمَاتُوا إِذْ لَا يُطِيقُونَ رُؤْيَتَهُ.

﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾.

أي: وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا كمَا اقْتَرَحُوا ثُمَّ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا، لَأَهْلَكَهم اللهُ بِعَذَابٍ يَسْتَأصِلُهُم، وَلَمْ تُؤَخَّرْ عنهم الْعُقُوبَةُ ليتُوبُوا، وَالْإِنْظَارُ: التَّأْخِيرُ.

قَالَ قَتَادَةُ: لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ مَلَكًا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ.

فإِنَّ سُنَّةَ اللهِ في العبادِ أَنَّ مَنْ سألَ آيَةً فَأُظْهِرَتْ لَهُ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ أهلكه اللهُ تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾.[1]

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾.

أَيْ: لَوْ بَعَثْنَا إِلَى الْبَشَرِ رَسُولًا مَلَكِيًّا لجَعَلْنَاهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ؛ لأنهم لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرَوُا الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ الحقيقيةِ، وَلَوْ جَعَلْنَاهُ رَجُلًا لَالْتَبَسَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ؛ كَمَا الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ أَمْرُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: لستَ رسولًا ولستَ مَلَكًا؛ لأنَّ خلقتك تشبه خلقةَ البَشَرِ.

١ - سورة الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٥٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠- ١٢

لما كان سؤالُ المشركين إنزالَ مَلَكٍ مِنَ السَّمَاءِ يُصَدِّقُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيمَا يخبر به عن اللهِ تعالى، سخريةً بالدينِ واستهزاءً برسول رب العالمين، أنزل الله تعالى هذه الآيات تسليةً لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتطييبًا لقلبه ليتأسى بمن سبقه من الرسل، وليعلم وأن هذا حال أعداء الرسل في كل زمان.

وورد لفظ (رسلٍ) نكرة للكثرة، والمعنى: (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ كُثُرٍ مِنْ قَبْلِكَ).

﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

هذا إخبار عن سنة الله تعالى فيمن كذب رسله، وحارب دينه، وأن مآلهم في الدنيا أن يحيط بهم الهلاكُ والدمارُ فلا يبقي منهم أحدًا، فإنَّ مَعْنَى حَاقَ: أَحَاطَ.

وفي الكلام حذف اختصار تقديره: (فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ عقابُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم ذكر الله تعالى لهم برهانًا قاطعًا على سنته التي لا تتخلف في إهلاك المكذبين لرسله المستهزئين بهم، فقال لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُل لهم يا محمد سِيرُوا فِي الْأَرضِ فانظرُوا في آثار القرونِ الغابرةِ نَظَرَ مُعْتبرٍ، وتفكروا في أحوالهم تَفَكُرَ مُدَّكِرٍ، لِتَعْرِفُوا مَا حَلَّ بهم مِنَ الْعَذَابِ.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾.

ولما هددهم الله تعالى بمصير الغابرين ممن استهزء برسل الله إذا ظلوا على كفرهم، واستمروا في غيهم، أعقب ذلك التهديد بالترغيب في رحمته التي وسعت كل شيء، وصدَّر الآية بدليل عقلي على ألوهيته ووحدانيته تعالى، فقال: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وهو سؤال

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغرض منه التقرير، فإذا كان لا يملك الملك سواه، فلا يستحق العبادة غيره تعالى، ثم أجاب بقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾؛ لأنهم لا ينازعون في ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لُقْمَانَ:٢٥]؛ فالخلق جميعًا تحت قهره وسلطانه، فكيف يُعْبَدُ مملوك؟

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

أي: قَضَى سُبحَانَه أَلَا يُعجِّلَ الْعُقُوبَةَ للمذنبين، وَأَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمُ التَّوْبَةَ إذا رجعوا إليه، وهي دعوة لهم للتوبة من الشرك؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».[1]

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

اللَّامُ هِيَ الْمُوَطِّئَةُ لِلْقَسَمِ، وَالنُّونُ نُونُ التَّأْكِيدِ، والمعنى: واللهِ لَيَجْمَعَنَّكُمْ لِمِيقَاتِ مَعْلُومٍ هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وهو كائن لا شك فيه، وعُدي لَيَجْمَعَنَّكُمْ بـ (إِلَى) لتضمنه معنى السَّوْقِ، وقيل: في الكلام حذفٌ تقديره: لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى الْمَحْشَرِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ الْجَمْعَ يَكُونُ إِلَى الْمَكَانِ لَا إِلَى الزَّمَانِ.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

في الكلامِ حذفُ اختصارٍ تقديره: أَخُصُّ هَؤُلَاءِ المكذِّبِينَ مِمَّنْ يُجْمَعُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بالتَّذْكِيرِ؛ فَإِنَّهُمْ لِخُسْرَانِهِمْ أَنْفُسَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، حديث رقم: ٣١٩٤، ومسلم- كتاب التوبة، بَابٌ: فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حديث رقم: ٢٧٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٣- ١٦

السُّكُونُ: الاسْتِقْرَارُ وَهُوَ ضِدُّ الْحَرَكَةِ، والْمَعْنَى: وَلَهُ مَا هَدَأَ وَاسْتَقَرَّ، وَالْمُرَادُ مَا سَكَنَ وَمَا تَحَرَّكَ، وحَذَفَ ذِكْرَ الْحَرَكَةِ، لِأَنَّ ذِكْرَ السُّكُونِ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛ كما في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾. [النَّحْلِ: ٨١] والمرادُ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ، فَاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا لدلالته عَلَى الْآخَرِ.

وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ يُفِيدُ الْحَصْرَ؛ أي: لَهُ ذلك وَحْدَهُ لَا لِغَيْرِهِ.

وقوله: ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، يشمل كل زمانٍ وكل مكانٍ، لأنه لا يخلُ زمانٌ ولا مكانٌ من ليلٍ أو نهارٍ.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

فلا يخفى عليه ساكنه لسكونه، ولا يغيب عن علمه شيءٌ من خلقه.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أَيْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ رَبًّا وَنَاصِرًا، واللَّهُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَيْ: خَالِقُهُمَا وَمُبْدِعُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: مَا كُنْتُ أَدْرِي مَعْنَى الْفَاطِرِ حَتَّى احْتَكَمَ إِلَيَّ أَعْرَابِيَّانِ فِي بِئْرٍ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا أَيْ: ابْتَدَأْتُ حَفْرَهَا.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾. أَيْ: وهو يرزقُ الخلق جميعًا ولا يحتاج إليهم، والسؤالُ للإنكارِ لأنَّهم دَعَوْهُ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ من دونِ الله تعالى.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

أَيْ: أَوَّلُ مَنْ أَخْلَصَ دينَهُ للهِ وأَسْلَمَ لهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقِيلَ لِي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

الْخَوْفُ: تَوَقُّعُ الْمَكْرُوهِ، أَيْ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، أَنْ يُعَذِّبَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

مَنْ يُصْرَفُ عَنْهُ عَذَابُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَدْ رَحِمَهُ اللهُ، وَحَصَلَ لَهُ الْفَوْزُ الْمُبِينُ، والسَّعَادَةُ الأَبَدِيةُ بالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ ودخولِ الجنةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.[1]

١ - سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٧، ١٨

ومن دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته وربوبيته أنَّهُ لا يملك النفع والضر سواه، فالله تعالى لا رادَّ لحكمه، ولا معقبَ لقضائِهِ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فما أصابك اللَّهُ منْ بَلَاءٍ، فَلَا كَاشِفَ له إِلَّا هُوَ دُونَ مَا يَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.[١]

وكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.[٢]

وكانَ الْمُشْرِكُونَ يُخَوِّفُونَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْنَامِهِمْ وَيَتَوَعَّدُونَهُ بآلِهَتِهِمُ الَّتِي يعبدُونَهَا مِنْ دُونِ الله؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾.[٣]

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».[٤]

---

١ – سُورَةُ يونسَ: الآية/ ١٠٧

٢ – سُورَةُ فَاطِرٍ: الآية/ ٢

٣ – سورة الزمر: الآية/ ٣٧

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٦٦٩، والترمذي– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥١٦، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَكَانَ من دعاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، وإذا فرغَ مِنَ الصَّلاَةِ: «اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ».[1]

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أَيْ: وَإِنْ يُصِبْكَ بِرَخَاءٍ فِي العَيْشِ، وَسَعَةٍ فِي الرِّزْقِ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فاللهُ تعالى لا يُعْجِزُه شَيءٌ.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

أَيْ: وَهُوَ الَّذِي قَهَرَ العبادَ بقوتِهِ، فخَضَعَتْ لَهُ رقابهم، وَذَلَّتْ لَهُ أعناقُهُم، وَعَنَتْ لَهُ وُجُوهُهُم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾. [طه: ١١١] أَيْ: خَضَعَتْ وَذَلَّتْ.

وقد وصف الله تعالى نفسه بعلوِ القهرِ، وعلوِ القدرِ، وعلوِ الذاتِ.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

أي: وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ، الْخَبِيرُ بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ القَدَرِ، بَابُ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ، حديث رقم: ٦٦١٥، ومسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، حديث رقم: ٥٩٣، عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٩

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ شَهَادَةً؟ وهو سؤالٌ الغرضُ منه التقريرُ، فإنهم يشهدونَ أنَّ الله تعالى خالق الخلق ومالكهم، فوجب عليهم أن يقروا أنَّ شهادَتَهُ أعظمُ شهادةٍ، وَأَنْ شهادته لا يجوزُ فيها ما يجوزُ في شَهَادَةِ غَيْرِهِ مِنْ الخَلْقِ مِنَ السَّهْوِ أَو الخَطَأِ أَو الْكَذِبِ، ولا بد أن يقروا بذلك، فإنْ أقروا بذلك وإلا فقُلِ: اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وقد شهِدَ اللهُ أنه لا معبود بحقٍّ سواه، وأَنِّي رسولُ اللهِ إليكم.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾.

أي: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأخوِّفَكُم بِهِ عذَابَ اللهِ عَلَى تَكْذِيبِي فِيمَا جِئْتُ بِهِ توحيدِ الله تعالى، والنهي عن الشرك به، وَأُنْذِرَ بِهِ مَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ مِنَ الْأُمَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وفي الآية دليلٌ على عمومِ رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَهُوَ نَذِيرٌ لَهُ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَكَأَنَّمَا رَأَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعَ مِنْهُ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».[١]

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾.

أي: قُلْ يا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ مَعْبُودَاتٍ مِنَ الْأَوْثَانِ، مع ما ظهر من دلائل وحدانيته؟ وهو سؤالٌ الغرض منه التقرير والتوبيخ.

﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾.

أَيْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَا أَشْهَدُ بِمَا تَشْهَدُونَ به من الشِّرْكِ.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث رقم: ٣٤٦١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

ثم أمره الله تعالى بإعلان توحيده لله تعالى ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾؛ أي لا معبود بحقٍّ سواه، وأمره البراءة من الشرك ومن سائر المعبودات سوى الله تعالى؛ كما قَالَ تَعَالَى عنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾.[1]

١ - سورة الزُّخْرُفِ: الآية/ ٢٦، ٢٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٢٠، ٢١

لَمَّا شَهِدَ اللهَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالةِ وصدقه فيما جاء به من الوحي، أخبر هنا أنه بشَّرَ به في الكُتُبِ السابقةِ، وذكَرَهُ بصفاتٍ لا تلتبسُ في التوراة والإنجيل والزبور، وأنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يعني اليهُودَ والنَّصَارَى يَعْرِفُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، يَعْرِفُونَ اسْمَهُ وَصِفَتَهُ، وَبَلَدَهُ وأرضَ هِجْرَتِهِ، وَيَعْرِفُونَ صِفَةَ أَصْحَابِهِ، وَيَعْرِفُونَ صِفَةَ أُمَّتِهِ، وبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وابْنُ جُرَيْجٍ وغيرُهُم، وقد تقَدَّمَ الكلامُ على ذلك في سُورةِ البقرةِ.

ونظيرُ هذه الآية وما قبلها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾.[1]

وَقِيلَ: الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ووحْيُهُ إلى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأول أظهر فإنَّ المشركين كانوا يقرون أنَّ القرآنَ معجزٌ وأنَّه فوقَ طاقةِ البشرِ.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

كأن سائلًا قال: هلَّا آمنَ به أهلُ الكتابِ إذا كَانُوا يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ؟

فجاء الجواب عن ذلك بأنَّ الهدايةَ بيدِ اللهِ تعالى، وأنَّ هؤلاء الذين كَفَرُوا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أهل الكتاب؛ فلما سبق في علم الله تعالى من شقائهم وخسرانهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

هذا وعيدٌ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الذين افْتَرَوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا بتحريفِ كلامِهِ تعالى، إخفاءً لصفةِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتبهم، أو نسبة تلك الصفاتِ لغيره، وأن ذلك أعظم الآثام، وأقبحُ الظلمِ، وأنَّ من هذا شأنه فهو بعيدٌ كلَ البعدِ عن الفلاحِ، وقد وقع الأمران من أهل الكتاب؛ فقد افْتَرَوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ، ونسبوه له ما لم ينزل به سلطانًا، وكذبوا بآياتِ اللهِ تعالى

---

١ - سورة الرعد: الآية/ ٤٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الدَّالَّةِ على صِدقِ رَسُولِهِ مُحَمَدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الآيةُ وإن وردتْ في سياقِ الحديثِ عن أهلِ الكتابِ فهي تنطبقُ على المشركين كذلك، فقد افْتَرَوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا بتحليل الحرامِ وتحريمِ الحلالِ، وكَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ المنزلةِ على رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الدَّالَّةِ على وحدانيةِ اللهِ تعالى وصدقِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٢٢- ٢٤

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذكرَ اللهُ تَعَالَى المشركين وأهل الكتاب المناوئين لدينه، المكذبين لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصفهم بالخسران في الدنيا بسبب عدم إيمانهم، بيَّنَ تعالى في هذه الآية الخسران المبين يوم العرض الأكبر، والافتضاح على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: واذكر يوم نحشرهم جميعًا يوم القيامة، مَنْ عَبَدَ، ومَنْ عُبِدَ من دون الله.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

ثم يَسْأَلُهُمْ الله تعالى مقرِّعًا وموبخًا، ومتهكمًا بعدَ حَشْرِهِمْ بِمُدَّةٍ، قائلًا: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، وَأَضَافَ الشُّرَكَاءَ إِلَيْهِمْ هُنا؛ لِأَنَّهُم جعلوا الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ شُرَكَاءَ للهِ فأُضِيفَتْ إِلَيْهِمْ، ولَمْ تَكُنْ شُرَكَاءُ لِلَّهِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَقَالَ تَعَالَى في سورةِ الْقَصَصِ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾. [الْآيَةَ/ ٦٢]، أي: بِزَعْمِكُمْ.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

المرادُ بالفتنةِ هنا الكفرُ، وفي الكلامِ حذفُ اختصارٍ تقديره: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ عَاقِبَةُ فِتْنَتِهِمْ إِلَّا الْبَرَاءَة ممن كانوا يعبدونهم بقولهم: وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، ظنًّا منهم أن الكذبَ قد ينجيهم في الآخرة، وقالوا إمعانًا في الكذب، ومبالغةً في البراءَةِ مِنَ الشركِ: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾؛ أي: واللهِ الذي كنَّا نَعبُدُه مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ حَسَنٌ فِي اللُّغَةِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ وَقَفَ عَلَى مَعَانِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ كَوْنَ الْمُشْرِكِينَ مَفْتُونِينَ بِشِرْكِهِمْ مُتَهَالِكِينَ فِي حُبِّهِ، فَذَكَرَ أَنَّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَاقِبَةَ كُفْرِهِمُ الَّذِي لَزِمُوهُ أَعْمَارَهُمْ وَقَاتَلُوا عَلَيْهِ وَافْتَخَرُوا بِهِ وَقَالُوا: إِنَّهُ دِينُ آبَائِنَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا الْجُحُودَ وَالتَّبَرُّؤَ مِنْهُ وَالْحَلِفَ عَلَى عَدَمِ التَّدَيُّنِ بِهِ.

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

أَيْ: تَأَمَّلْ حَالَ أُولئكَ الْمُشْرِكِينِ، وتَعجَبْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بالبراءَةِ مِنَ الشِّرْكِ، وَكيفَ غَابَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ على الله بجعلهم شركاءَ له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٢٥، ٢٦

يخبر الله تعالى عن حال طائفة من المشركين بأنهم يستمعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا ليفقهوا ما يقول الرسول، فهم لا يفهمون ما يقال لهم ولا يتدبرونه، ولكنهم يستمعون ليوهموا عوام الناس من المشركين أنهم قادرون على مقارعة الحجة بالحجة، ومجادلة الرسول فيما جاء به ليكون عند عوام المشركين ذريعة لترك الإيمان بما جاء به، وليقول قائلهم: استمع إليه فلان فلم يجد عنده كبير فائدة، وجادله فلان فلم يفلج حجته.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

الْأَكِنَّةُ: الْأَغْطِيَةُ، جَمْعُ كِنَانٍ وَهُوَ الْغِطَاءُ، يقال: كَنَنْتُ الشَّيْءَ إِذَا صُنْتُهُ، وَأَكْنَنْتُهُ أَخْفَيْتُهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾. [الصافات: ٤٩]، أَيْ: مَصُونٌ.

أي: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أغْطِيةً لِئَلَّا يَفْهَمُوا القُرْآنَ، وأنْ هنا نافية؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: لِئَلَّا تَضِلُّوا.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾.

أَيْ: وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ صَمَمًا عَنِ السَّمَاعِ النَّافِعِ، فهم يسمعون ولا ينتفعون.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾.

أَيْ: وَمَهْمَا رَأَوْا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ والبَرَاهِين، لَا يُؤْمِنُوا بِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأليمَ﴾.[1]

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

---

١ - سورة يُونُسَ: الآية/ ٩٦، ٩٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ فِي الحقِّ بعد ما تبينَ لهم وقد جَحَدُوا آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّة عَلَى وحدانيته، وصحة رسالتك، فقال مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ؛ والْأَسَاطِيرُ جمعُ أسطورة وهي الْأَبَاطِيلُ وَالتُّرَّهَاتُ.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وما قال: (يقولوا) ليسجل عليهم الكفر، وليبين أن علة قولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، الكفرُ لا سواه.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

أَيْ: وَهُمْ يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاسْتِمَاعِ للقُرْآنِ الذي جاء بِهِ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ، أَيْ: وَيَتَبَاعَدُونَ عَنِ اسْتِمَاعِهِ، ظنًّا منهم أَنَّهُم يَضُرُّونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ولا يَشْعُرُونَ أَنَّهُم لا يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ بِحَمْلِهَا عَلَى الكفرِ وجُحُودِ الحقِّ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٢٧- ٢٩

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال المشركين وهم يجادلون رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالباطل، ويصدون الناس عن دينه، وينهونهم عن الاستماع لكلام الله تعالى، ويبتعدون عنه تنفيرًا للناس عن الإسلام، صوَّرَ الله تعالى حالهم يوم العرض الأكبر، وقد غشيتهم الذلة، وعلتهم الكآبة، وجللتهم المهانة، وندموا على الكفر والتكذيب والإعراض ولات حين مندم، وأقرُّوا بما كانوا ينكرونه في الدنيا، وتمنوا لو كانوا من المؤمنين في الدنيا، لينجوا من العذاب يوم القيامة.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾.

يذكر الله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال المشركين يوم القيامة وقد حبسوا على النار، وقد رأوا فيها ما يفوق الوصف من الأهوال، وما يذهل العقول من صنوف العذاب والأغلال، ويحتمل أن يكون الخطاب لكل أحدٍ فإن التعجب من أحوالهم لا يختص بأحدٍ دون أحدٍ ممن أعتاد مشاهدةِ العجائب والغرائب.

وحُذِفَ جَوَابُ لَوْ هُنا لتَهْوِيلِ الْأَمْرِ وَلِتَذْهَبَ النَّفْسُ فِي تَصَوُّرِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ، وحَذْفُه فِي مِثْلِ هذا الْمَوَاضِعِ أَبْلَغُ وَأَدَلُّ عَلَى الْمُرَادِ؛ قَالَ الزُّهْرِيُّ وَقَتَادَةُ: الْإِضْمَارُ أَشَدُّ لِلْوَعِيدِ.

ومثله كثير في القرآن ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الْأَنْعَام: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الْأَنْعَام: ٩٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ﴾ [الرَّعْد: ٣١]، ومعنى ﴿وُقِفُوا﴾: حُبِسُوا.

﴿فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: يَالَيْتَنَا نُرَدُّ إلى الدنيا للرجوع عن الكفر والخلاص بالإيمان، ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾، التي كنا نكذبُ بها، ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، العاملين بمقتضاها، وهي مجرد أمنية لا حظَّ للصدق فيها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾.

(بَلْ) إِضْرَابٌ عَنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: ليس كما يزعمون، بَلْ ظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَهُ من العلمِ بصدقِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

أي: وَلَوْ رُدُّوا بعدَ مُعَايَنَةِ الْعَذَابِ، لرَجَعُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ مِنَ الشِّرْكِ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِيمَا ادعوا من الإيمانِ وعدم التكذيبِ، فلم يسألوا الرجوعَ إلى الدُّنيا رَغبةً في الإيمانِ، بل خوفًا من العذابِ؛ ولأنهم لم يَبقَ لَهُم فِي النَّجَاةِ مَطْمَعٌ.

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

أَيْ: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا إِلَى الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبُ وَإِنْكَارُ الْبَعْثِ، وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، أرحامٌ تدفعُ وأرضٌ تبلعُ، إعراضًا عن الحقِّ، واتباعًا للهوى، وتكذيبًا للرسلِ.

وحُذِفَ جَوَابُ لَوْ هُنا أيضًا لتَهْوِيلِ الْأَمْرِ، والتقديرُ لَوْ تَرَاهم حِينَ حُبِسُوا بين يدي رَبِّهِمْ، لحُكْمِه عليهم وَقَضَائِهِ فِيهِمْ لرأيتَ أمرًا مهولًا، وفي التعبير بلفظ: ﴿رَبِّهِمْ﴾ دون لفظ الجلالة (الله)، تبكيتٌ لهم على عظم جنايتهم، مع إسباغه عليهم صنوف النعم.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾.

أَيْ: أَلَيْسَ هَذَا الْبَعْثُ والحِسَابُ والجَزَاءُ حَقًّا وَلَيْسَ بَاطِلًا كَمَا كُنْتُمْ تَزعمُونَ؟

وهو سُؤالٌ الغرضُ منه التَّقْرِيرُ وَالتَّوْبِيخُ.

﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾.

أَيْ: وَاللَّهِ الذي كنَّا نعبدُهُ إِنَّهُ لَحَقٌّ.

﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

أَيْ: بِكُفْرِكُم باللهِ تَعَالى وسُخْرِيَتِكُم بآياتِهِ، وتَكْذِيبِكُمْ لرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾.

هذا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ حَالِ مُنْكِرِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوتِ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَمدَى خُسْرَانِهِمْ لأَنَّهُمُ آثرُوا الْكُفْرَ عَلى الْإِيمَانِ.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾.

أي: حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ فَجْأَةً فَبَهَتَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ، ندموا ولات حين مندم، ونادوا عَلَى الْحَسْرَةِ من شِدَّةِ نَدَمِهِم، وطولِ حُزْنِهِم، على ما أَضَاعُوا أعمارهم فيه من الكفرِ والضلالِ وتركِ الاستعدادِ ليومِ المعادِ، وَالْحَسْرَةُ: شِدَّةُ النَّدَمُ، واللام في السَّاعةِ للعهدِ، وَمَعْنَى (بَغْتَةً) فَجْأَةً، يُقَالُ: بَغَتَهُمُ الْأَمْرُ بَغْتَةً إذا أتاهم فجأةً.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

أَيْ: قَالُوا ذَلِكَ حَالَ حَمْلِهِم لأَوْزَارِهِمْ الَّتِي اقْتَرَفُوهَا عَلَى ظُهُورِهِمْ في أرضِ المحشرِ، فاجتمع عليهم من الهموم والغموم والأحزانِ والتعب والعناء ما لا طاقة لهم به، ولا يستطيعون دفعه، وَالْأَوْزَارُ جَمْعُ وِزْرٍ، وَهُوَ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ، وهي كنايةٌ عن الذّنُوبِ والمعَاصِي؛ لِثِقَلِهَا وسُوءِ عَاقِبَتِهَا عَلَى جَانِيهَا، وأخبر أَنَّهم يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ؛ لِثِقَلِهَا الشَّدِيدِ عليهم، وَسَاءَ الْحِمْلُ الذي يَحْمِلُونَ.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

أي: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا التي يغتر بها النَّاسُ، ويبذلون دينهم لتحصيلها إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ، سريعٌ زوالها، لا تبقى لها لذة، ولا تدوم فيها سعادة.

﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

والدَّارُ الْآخِرَةُ هي الَّتِي تَبْقَى لِأَهْلِ التقوى، وَوهي التي يَدُومُ سُرُورُها ونَعيمُها، أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ ذلك؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣٣

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أورد الله تعالى حجج المشركين وفندها واحدة واحدة وساق من البراهين الساطعات، والدلائل الواضحات، والحجج القاطعات على وحدانيته تعالى، والبعث بعد الموت، وصدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما زادهم ذلك إلا إعراضًا ونفورًا، وما ازدادوا بآيات الله إلا تكذيبًا، بين الله تعالى في هذه الآية وما بعدها حال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يشعر به من الحزن وضيق الصدر من افترائهم عليه، ونسبته للكذب، ومن الحزن والأسف عليهم، ثم بين له حقيقة أمرهم وأنهم لا يكذبونه في حقيقة الأمر، وإنما يجحدون بآيات الله تعالى، ثم بين الله تعالى له أن تلك سنة أعداء الرسل في كل زمان، وأن هدى المرسلين من قبله هو الصبر على التكذيب والأذي حتى يأتيهم نصر الله تعالى، ويحل بأعدائهم بأسه تعالى الذي يرد عن القوم الكافرين.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾.

(قَدْ) هنا حرفُ تَحْقِيقٍ يدخلُ لى الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ، وهو بِمَنْزِلَةِ (إِنَّ) فِي تأكيدِ الْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى مُسَلِّيًا لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ أَحَطْنَا يَا مُحَمَّدُ عِلْمًا بِتَكْذِيبِ قَوْمِكَ لَكَ، وَحُزْنِكَ عَلَيْهِمْ لإصرارهم على الكفرِ، ومبالغتهم في العناد؛ وظل هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم؛ لعظيم شفقتهم عليهم؛ ومازال الوحي ينزل يهون عليه شأنهم، ويذكر رأفته بقومه، ورحمته وخوفه عليهم أن يصيبهم عذاب الله تعالى إن ماتوا على كفرهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الْكَهْفِ: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾.[1]

١ - سورة فَاطِرٍ: الآية/ ٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

أي: فَإِنَّهُمْ لَا يَنْسُبُونَكَ إِلَى الْكَذِبِ، ولا يتهمونك به في حقيقة الأمر، ولكنهم ينكرون الحقَّ كبرًا، ويعاندون أمر الله تعالى قصدًا؛ عَنْ عَلِيٍّ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ، قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.[1]

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي أَنَا وَأَبُو جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ مَكَّةَ، إِذْ لَقِينَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي جَهْلٍ: يَا أَبَا الْحَكَمِ هَلُمَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَا مُحَمَّدُ هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فو الله لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ ما تقول حقّا مَا اتَّبَعْتُكَ فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: فو الله إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ وَلَكِنَّ بَنِي قُصَيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ فَقُلْنَا نَعَمْ. فَقَالُوا فِينَا النَّدْوَةُ فَقُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا فِينَا اللِّوَاءُ فَقُلْنَا نَعَمْ. قَالُوا فِينَا السِّقَايَةُ فَقُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ والله لا أفعل».[2]

وعدي الفعل: (يَجْحَدُونَ) بالباء لتضمنه معنى يكفرون.

---

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الأَنْعَامِ، حديث رقم: ٣٠٦٤، بسند ضعيف

٢ – رواه ابن إسحاق في السير والمغازي (ص٢١٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣٤

لما هَوَّنَ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يقُولُهُ عنه المشْرِكُون وأنَّهم لا يكذِّبُونَهُ في حقيقةِ الأَمْرِ، آنَسَهُ هُنَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾، يعني أَنَّ عَادَةَ من تقدم من الأمم تَكْذِيبُ الرُّسُلِ عليهم السَّلامُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٥٢]، فَصَبَرَ الرُّسُلُ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ، حتى نصرهم اللهُ تَعَالَى، وفي الكلام حذف اختصار تقديره: حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا إِيَّاهُمْ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُم وآذَاهُم.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

أَيِ: لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ الَّتِي كَتَبَهَا أزلًا بنصر الْمُرْسَلِينَ، وإهلاكِ أعدائهم المكذبين؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الْمُجَادَلَةِ: ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصَّافَّاتِ: ١٧١ -١٧٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾.[1]

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

أَيْ: جَاءَكَ مَنْ خَبَرِ الْمُرْسَلِينَ فِي الْقُرْآنِ كَيْفَ نَصَرَهُم اللهُ عَلَى مَنْ كَذَّبَهُمْ، وَكَيْفَ دَمَّرَ مَنْ كَذَّبَهُم من أقوَامِهِمْ، و(مِنْ) هُنَا لِلتَّبْعِيضِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى ما قَصَّ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قصص الرسلِ جميعًا بلَّ قَصَّ بعضهم كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.[2]

١ – سُورَةُ غَافِرٍ: الآية/ ٥١

٢ - سُورَةُ غَافِرٍ: الآية/ ٧٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.
سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣٥

لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى المشركين، وأن يتأسي في ذلك بمن سبقه من المرسلين، بين تعالى له أنه لا سبيل له إلا ذلك الصبر، فقال: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾، يعني، وإن كان عظم عليك انصرافهم عنك، وشقَّ عليك عدم قبولهم للحق الذي جئت به، فلم تصبر على أذاهم، ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾، يعني: إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تبْحثَ لك عن سِرْبٍ فِي الْأَرْضِ عَمِيقٍ، فَتَذْهَبَ فِيهِ، أَوْ تَطلُبَ مِصعَدًا فَتَصْعَدَ فِيهِ إِلى السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ أبلغُ فِي الحجةِ مما جئتهم به. والجواب محذوفٌ تقديره: فافعلْ.

وَالِابْتِغَاءُ: الطَّلَبُ والبَحْثُ، وَالنَّفَقُ: السَّرَبُ فِي الْأَرْضِ لَهُ منفذٌ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ؛ وَمِنْهُ نَافِقَاءُ الْيَرْبُوعِ؛ لِأَنَّ الْيَرْبُوعَ يدخلُ مِنْ مكانٍ يحفُرُه فِي الْأَرْضِ ويخرجُ من مكانٍ آخر.

قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: النَّفقُ: السَّرَبُ، وقَالَ قَتَادَةُ: السُّلَّمُ الدَّرَجُ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾.

أي: لو شاء الله تعالى هدايتهم مشيئةً كونية لهداهم أجمعين، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يُونُسَ: ٩٩]، ولكن اقتضت حمته تعالى أن يختبر العبادَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التَّغَابُنِ: ٢]، وهو مع ذلك شاءَ الهدايةَ للعبادِ جميعًا مشيئةً شرعيةً؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [الْبَلَدِ: ١٠] ، أَيْ: بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الخَيرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

أي: فَلَا تَكُونَنَّ يَا مُحَمَّدُ مِمَّنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تعالى لَوْ شَاءَ لَهَدَى النَّاسَ جميعًا، ولكنَّ اللهَ تعالى يهدي مَنْ يشاءُ ويعصمُ ويُعافي فضلًا، ويضلُّ مَنْ يشاءُ ويبتلي عدلًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣٦، ٣٧

هذه الآية بيانٌ لعلةِ إعراضِ المشركينِ عن الإيمانِ باللهِ تعالى ومتابعةِ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ الهدايةَ بيد الله تعالى لا يملكها سواه؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾. [الروم: ٥٢]؛ وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[1]

ومعنى: يَسْتَجِيبُ أي: يقبلُ مَا دُعِيَ إِلَيْهِ، والحصرُ في قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾. تعريضٌ بهؤلاء المكذبين الذين لم يقبلوا ما جاءهم به رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم لا يسمعون سماعَ إجابةٍ ولا يفقهون مايرادُ منهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. [الْأَعْرَافِ: ١٧٩]؛ أي: لهم جَوَارِحٌ ولكن لا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِنْها.

﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

هذا وعيدٌ لأولئك المشركين، الذين ماتت قلوبهم فلم تؤثر فيهم موعظة، ولم ينتفعوا بآية، وأنَّ الله تعالى سيجازيهم على كفرهم وإعراضهم، يوم يبعث الله تعالى العبادَ، وقوله تعالى: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾، تهكم بهؤلاء المعاندين، وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾. تهديدٌ ووعيدٌ؛ بأنهم لا مفرَّ لهم ولا مهرب من الله تعالى.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾.

ثم أخبر الله تعالى عن تعنت هؤلاء المكذبين باقتراح نزول آيات معينة بخلاف ما جاءهم به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ

---

١ - سورة يس: الآية/ ٧٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنزلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾.[1]

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أَيْ: قُلْ لَهُم يا محمدُ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّ اقتضتْ حِكْمَتَهُ تَعَالَى ألا يستجيبَ لهم؛ رحمةً بهم؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَنْزَلَهَا وَفْقَ مَا طَلَبُوا ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا، لَعَاجَلَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، كَمَا فَعَلَ بِالْأُمَمِ السَّالِفَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٥٩]، ولكنهم لجهلهم لا يعلمون العلة من عدم إنزال الآيات على وفق ما اقترحوا.

---

١ - سورة الْإِسْرَاءِ: الْآيَاتِ/ ٩٠- ٩٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣٨، ٣٩

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ المشركينَ لما سَأَلُوا رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم آياتٍ اقترحوها، ما سألوها إلا عنادًا واستكبارًا، لفت الله تعالى أنظارهم وعقولهم إلى شيءٍ من عجائب خلقه ودلائل قدرته، وبراهين توحيده فيما يرونه من التنوع الهائل من المخلوقات، التي تدبُّ على الأرض، والطيور التي تطير في السماء، والتي يقف العقل أمامها مشدوهًا، مقرًا توحيد الله وكمال قدرته وبديع صنعه، كما قيل:

وفي كُلّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ **** تَدُلّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

أي: ليس هناك شيءٌ من دواب الأرض صغيرها وكبيرها، ولا شيءٌ من الطيرِ التي تضرب بأجنحتها في السماءِ إلا وهي أمثال بني آدم، في الحياة الحيوانية، وطرائقِ العيشِ، والصفات الخَلْقية والخُلُقية، ولها خصائصها التي تميزها عن غيرها، وَكلُ نوعٍ منها أمةٌ كما قَالَ قَتَادَةُ: الطَّيْرُ أُمَّةٌ، وَالْإِنْسُ أُمَّةٌ، وَالْجِنُّ أُمَّةٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾، يدلُّ على الاستغراق، وذكر الأرض ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾. والدبيب لا يكون إلا على الأرض، وقوله: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾، ولا يطير الطائرُ إلا بجناحين؛ لتأكيدِ العمومِ، ودفعِ توهم المجاز؛ لأنه يقالُ لغير الطائر: طارَ إذا أسرعَ.

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

أي: أَحْصَاهَا اللهُ تَعَالَى عددًا، وعلمَ حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا، وقدَّرَ لها آجَالًا وأَرْزَاقًا، وهَدَاهَا تعالى لما خَلَقَهَا لَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هُودٍ: ٦]، قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا تَرَكْنَا شَيْئًا إِلَّا قَدْ كَتَبْنَاهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: موتُ الْبَهَائِمِ حَشْرُها.

وقيل: المرادُ بحَشْرِهَا بَعْثُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وهو الصحيحُ؛ لقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التَّكْوِيرِ: ٥]؛ ولما ثَبَتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ».[1]

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذِ انْتَطَحَتْ عَنْزَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ فِيمَا انْتَطَحَتَا؟» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا».[2]

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾.

أي: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِحُجَجِ اللَّهِ وَدلائِلِ وحدانيتِهِ، صُمٌّ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، بُكْمٌ عَنِ الْقَولِ بِهِ، حائرينَ في ظلماتِ الكفرِ، غارقين في الضَّلالِ.

﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

يقضي ما شاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، ولا يسأل عما يفعلُ.

---

١ - رواه مسلم- كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨٢

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢١٤٣٨، وابن جرير في تفسيره (١١/ ٣٤٨)، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٤٠- ٤٣

يقول الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهؤلاء المشركين المكذبين المعاندين: أخبروني عن حالكم مع من تعبدون إن نزل بكم عذاب الله، كما نزل بمن كان قبلكم، أو أتتكم الساعة، أتدعونهم ليدفعوا عنكم عذاب الله، إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم آلهة يجلبون النفع ويدفعون الضر؟

وهو سؤالٌ يثير الله تعالى به كوامن التوحيد الذي أودعه في فطرتهم التي فطرهم عليها الغرض منه التقرير والتعجيب من شأنهم، لعلهم يثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا عن غيهم، وكان هذا حالهم إذا مسهم الضر في البحر، وأشرفوا على الغرق؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ﴾.[1]

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

بل تدعون الله تعالى وحده الذي لا يملك كشف الضر سواه، ولا ينجيكم من المهالك غيره، إن شاءلكم النجاة، وتنسون تلك الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم شيئًا.

وتقديم الضمير المنفصل (إيَّاه) لقصر دعاءهم على الله تعالى دون سواه، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.[2]

١ - سورة الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٦٧

٢ - سورة يُونُسَ: الآية/ ٢٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

يخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن سنته تعالى في الأمم السابقة، وفي الكلام تعريض بالمشركين وتهديد لهم أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم، وفي الكلام حذف إيجاز تقديره: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلًا يأمرونهم بتوحيد الله وعبادته، وينهونهم عن الشرك بالله، فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ يعني بالمصائب في الأمولِ بالفقر والقحط وضيق العيش، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾، يعني: في الأبدان بالأمراضِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

التضرعُ تفعلٌ من الضراعة وهي الخضوعُ والتذللُ، يقال: جَاءَ فلانٌ يَتضرَّعُ إذا جَاءَ يَطلبُ إليك حاجةَ، والمعنى: لعلهم يخضعون لله تعالى، ويسألونه المغفرةَ، سؤالَ الخائفِ الذليلِ، الخاضعِ الوجلِ.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ثم بين ما كانوا يتصفون به من الكبر والأنفة عن قبول الحقِّ وعبادةِ الربِّ تبارك وتعالى، فقال: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾. أي: فهَلَّا إذ أَصَابَهُم ما أَصَابَهُم مِنَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، خضعوا لله تعالى واستكانوا، ولانت قلوبهم؟ ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، بالإصرارِ على الكفرِ، والإقامة على المعاصي، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، من الشرك والآثام.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٤٤، ٤٥

يطلق النسيان ويرادُ به معنيان: الترك وهو المراد هنا؛ ومنه قول النابغة:

كَأَنَّـهُ خَارِجًـا مِـنْ جَنْـبِ صَـفْحَتِهِ **** سَـفُّودُ شَـرْبٍ نَسُـوهُ عِنْـدَ مُفْتَـأَدِ

أي: تركوه عند مكانِ الشَّيِّ حتى نضجَ ما فيه.

والثاني: عدم الذكر؛ ومنه قوله تعالى على لسان فتى موسى عليه السلام؛ ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾.[1]

أي: فَلَمَّا تَرَكُوا الْعَمَلَ بِمَا أُمِرُوا بِهِ، أَعْرَضُوا عَنْهُ، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، كانت مغلقةً عنهم؛ من الخيراتِ، والأولادِ، والأموالِ، وصنوفِ النعمِ، استدراجًا لهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.[2]

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلا قَوْلَ اللَّهِ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.[3]

وقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَكَرَ بِالْقَوْمِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ؛ أُعْطُوا حَاجَتَهُمْ ثُمَّ أُخِذُوا.

---

١ - سورة الْكَهْفِ: الآية/ ٦٣

٢ - سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٧٨

٣ - تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ أيضًا: مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرَ أَنَّهُ يُمْكَرُ بِهِ فَلَا رَأْيَ لَهُ، وَمَنْ قُتِّرَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرَ أَنَّهُ يُنْظَرُ لَهُ فَلَا رَأْيَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.[1]

﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾.

أي: حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا فتحناهم عليهم من أبواب الرزقِ، والسَّعةِ فِي الْمَعِيشَةِ، فبطروا نعمَ الله عليهم، ولم يشكروا المنعم عليها، وظنوا أنهم أهلٌ للنعم، وأولى بها من غيرهم، فَاجَأَهُمُ اللَّه بِالْعَذَابِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.

(إِذَا) هنَا هِيَ الْفُجَائِيَّةَ؛ والفاءُ للتعقيبِ؛ وَالْإِبْلَاسُ: الْيَأْسِ مِنَ النَّجَاةِ، أي: أخذناهم بالعذاب فجأة وهم غارُّون لاهونَ فيما هم فيه من التَّرفِ، فَإِذَا هُمْ آيِسُونَ مِنَ النَّجَاةِ لِشِدَّةِ مَا نَزَلَ بِهِم من العذابِ.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

أي: فاسْتَأْصَلَهُمْ اللهِ بِالْهَلَاكِ، وَالدَّابِرُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: دابِرُ الْقَوْمِ آخِرُهُمُ الَّذِي يَدْبُرُهُمْ.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الدَّابِرُ الْأَصْلُ؛ يُقَالُ: قَطَعَ اللَّهُ دَابِرَهُ أَيْ أَذْهَبَ أَصْلَهُ.

قَالَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ:

فَاسْتُؤْصِلُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَابِرَهُمْ **** فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ صَرْفًا وَلَا انْتَصَرُوا

ووضعُ الظاهرِ موضعَ المضمرِ للتنبيهِ عَلَى سَبَبِ اسْتِئْصَالِ شأفتِهم، وهُوَ الظُّلْمُ، وَالمرادُ به هُنَا الْكُفْرُ.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِهْلَاكِ الظَّالمينَ، المكذِّبِينَ للرُّسُلِ، وفي الآيةِ دليلٌ على مشروعيةِ الحمدِ عِندَ هلاكِ الطغاةِ.

---

١ - تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٤٦، ٤٧

يذكر الله تعالى للمشركين المكذبين هنا من دلائل قدرته، ما لا سبيل لهم إلى دفعه، ويورد عليهم من الحجج على وحدانيته ما لا طاقة لهم بدفعه؛ فيقول لرسوله صلى الله عليه عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المعاندين المكذبين أرأيتم أيها المشركون بالله إن انتزع الله تعالى منكم ما وهبكم من النعم، فسلب أسماعكم فأصمكم، وسلب أبصاركم فأعمى أعينكم، وطبع على قلوبهم فلم تفقهوا قولًا، ولم تعقلوا حجةً، ولم تميزوا خيرًا من شرٍّ، من الذي يردُّ عليكم أسماعكم وأبصاركم وأفهامكم؟

وأنتم تقرون أن الله تعالى هو الذي خلقكم وصوركم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. [الزُّخْرُفِ: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يُونُسَ: ٣١]، فبأي صفة استحق هؤلاء أن تعبدوهم من دون الله، وهم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًّا؛ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.[1]

﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.

أي: انظر كيف نسوق لهم الحجج والبراهين، ونضرب لهم الأمثال، ثم هم مع ذلك يعرضون عن قبول الحقِّ، وينفرون عنه نفرة حمر الوحش، ويستكبرون عن قبوله والانقياد له، ويصدون الناس عنه؛ قَالَ الْعَوْفِيُّ، و ﴿يَصْدِفُونَ﴾: يُعرِضُونَ ويَعدِلُون؛ يقال: صَدَفَ عَنِ الشَّيْءِ، إِذَا مَالَ عَنْهُ وَوَلَّى ذَاهِبًا. قالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿يَصْدِفُونَ﴾: يَعْدِلُونَ.

وقال مُجَاهِدٌ وقَتَادَةُ: ﴿يَصْدِفُونَ﴾: يُعْرِضُونَ.

---

١ - سورة النَّحْلِ: الآية/ ١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾.

ثم قال تعالى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ: أَخْبِرُونِي إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ فَجْأَةً، مِنْ غَيْرِ سَبْقِ عَلَامَةٍ تَدُلُّهُمْ عَلَى مَجِيءِ ذَلِكَ الْعَذَابِ، أَوْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ جهارًا نهارًا وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ.

وقالَ الْحَسَنُ: ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾. مَعْنَاهُ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا.

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾.

أي: لَا يَهْلِكُ بِهِ غَيْرُكُمْ، لظُلْمِكُمْ أنفسكم بالشرك بالله تعالى، والإعراض عن توحيده وعبادته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٤٨، ٤٩

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما قال المشركون ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾. [الْأَنْعَامِ: ٣٧]، أنزل الله تعالى هذه الآية ردًّا عليهم وبين أن الأنبياء والرسل عليهم السلام، أرسلهم الله تعالى مبشرين ومنذرين، ولا قدرة لهم على إنزال الآيات، بل مردُّ ذلك إلى الله تعالى:

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾.

أي: لا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا ليبشروا من آمن بالله تعالى وامتثل أمره فيما أمر، واجتنب ما نهى عنه وزجر، برضوان الله تعالى، والنعيم المقيم في دار الخلد، ولينذروا من كفر بالله تعالى، وأعرض عن طاعته، وكذب رسله بسخط الله تعالى، والعذاب الأليم في نار جهنم.

﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

فَمَنْ آمَنَ بالله تعالى وصدق المرسلين، واستقام على أمر الله تعالى، وعمل صالحًا، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾. فيما يستقبلهم، من القبر وعذابه، والحشر وأهواله، والحساب وكربه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، على ما خلفوه وراءهم في الدنيا من الأهل والذرية؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.[1]

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

أي: وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا التي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ، وخالفوا أمر الله تعالى، واستكبروا عن طاعته وطاعة رسله يصيبهم العذاب، بكفرهم بالله وتكذيبهم بآياتهِ وخروجهم عن أمره تعالى.

---

١ - سورة فُصِّلَتْ: الآية/ ٣٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٥٠- ٥٢

مازال الكلام في سياق الردِّ على المشركين المعاندين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آياتٍ اقترحوها، فقال الله تعالى له قل يا محمد لهؤلاء المتكبرين عن الانقيادِ لأمر الله تعالى، المنكرين لنبوتك: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، لَا أَقُولُ إني أملكُ خَزَائِنَ اللَّهِ فَأَنْزَلَ مَا اقْتَرَحْتُمُوهُ مِنَ الْآيَاتِ، بل ذلك لله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنزلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٥١]، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾، لأخبركم به إنما ذلك مما اختص الله تعالى بعلمه، ولا أعلم منه إلا ما أطلعني الله عليه؛ كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...﴾ الْآيَةَ [الْجِنِّ: ٢٦، ٢٧]، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾، أي: لا أملك ما يملكه الْمَلَكُ من خصائصٍ وقدراتٍ، إنما أنا بشر شرفني الله تعالى بالرسالة.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾.

(إِنْ) هنا نافية؛ أي: لا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحِيه اللهُ إِلَيَّ لا أخالفه، وأحيدُ عنه قيد أنملة.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾.

ثم قال تعالى له: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى عَنِ الْحَقِّ، الذي يتخبطُ في ظُلُمَاتِ الجَهْلِ، وضلالاتِ الشركِ، والبَصِيرُ بآياتِ اللهِ ودَلَائِلِ وحْدَانِيتِهِ؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾.[1]

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: الضَّالُّ وَالْمُهْتَدِي.

١ - سورة الرَّعْدِ: الآية/ ١٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ قَتَادَةُ: الْأَعْمَى: الْكَافِرُ الَّذِي قَدْ عَمِيَ عَنْ حَقِّ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَنِعَمِهِ عَلَيْهِ، وَالْبَصِيرُ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي أَبْصَرَ بَصَرًا نَافِعًا، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَعَمِلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَانْتَفَعَ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، فيما خلقتم له، وفيما تصيرون إليه؟

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

ثم قالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنْذِرْ يَا مُحَمَّدُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾، أي: الذين يعلمون أنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، ولا عاصم لهم من أمر الله إن أراد بهم سوءً.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

أي: أنذرهم ليتقوا الله تعالى فهم الذين ينتفعون بتذكيرك، ووعظك، وهو تعريض بالمكذبين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٥٢

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ....﴾. [الْأَنْعَامِ: ٥١]، ولما كان الإنذار يتحققُ بمرة واحدة يمتثل فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الله تعالى، نهاه الله تعالى عن الزهد في مجالستهم، أو استثقال محادثتهم.

سبب نزول الآية:

سبب نزول الآية ما رواه مسلم عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾".[1]

وفي رواية عند الواحدي عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا سِتَّةٍ فِيَّ وَفِي ابْنِ مَسْعُودٍ وَصُهَيْبٍ وَعَمَّارٍ وَالْمِقْدَادِ وَبِلَالٍ، قَالَتْ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا لَا نَرْضَى أَنْ نَكُونَ أَتْبَاعًا لِهَؤُلَاءِ فَاطْرُدْهُمْ عَنْكَ، فَدَخَلَ قَلْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْخُلَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. الْآيَةَ.[2]

---

١ - رواه مسلم- كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابٌ فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٢٤١٣

٢ - أسباب النزول ت الحميدان (ص: ٢١٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

أي: لا تبعد هؤلاء يعبدون الله تعالى مخلصين له الدين، ولا يريدون سواه، ويسألونه من فضله صباحًا ومساءًا، أن يرحمهم وأن يغفرَ لهم، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الصَّلَوَاتُ الْمَكْتُوبَاتُ.

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

أي: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِ أجورهم وأرْزَقِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَلَّهُمْ وَتَطْرُدَهُمْ، وَلَا حِسَابُ أجرك ورِزْقِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا ذلك لله تَعَالَى؛ كما قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام ردًّا على الكفار الذين قالوا له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأرْذَلُونَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١١١]، فقَالَ عليه السلام: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾.[1]

﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: فإنْ طردتهم فأنت من الظالمين.

١ - سُورةُ الشُّعَرَاءِ: الآية/ ١١٢، ١١٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٥٣

الفتنة هنا الابتلاء والاختبار؛ أي: وكذلك ابتلينا بَعْضُ المؤمنين بِبَعْضِ المشركينَ، وبعض المشركين ببعض المؤمنين، فابتلاء المؤمنين بالمشركين هو ما يلقونه منهم من الأذى، وابتلاء المشركين بالمؤمنين هو أنهم يرونهم مستضعفين أذلةً لا قدر لهم ولا منزلةً، فكيف يهتدون إلى الحقّ دونهم؟

فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ مِنْ أَسْلَمَ، وَغِفَارَ، وَمُزَيْنَةَ، وَأَحْسِبُ جُهَيْنَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَسْلَمُ، وَغِفَارُ، وَمُزَيْنَةُ وَأَحْسِبُ جُهَيْنَةُ خَيْرًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَنِي عَامِرٍ، وَأَسَدٍ، وَغَطَفَانَ، أَخَابُوا وَخَسِرُوا؟» فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَأَخْيَرُ مِنْهُمْ».[1]

﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾.

أي: ليقول المشركون مستنكرين: أَهَؤُلَاءِ الضعفاء مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بالهدايةِ مِنْ بَيْنِنَا، ونحن أكثرُ أموالًا وأولادًا؟

وكان يرون أنهم أجودُ قرائحَ، وأذكى عقولًا، وأرفع رتبةً من هؤلاء المستضعفين؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾.[2]

وكان غالبُ أصحابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من المستضعفين الفقراء، وهم أتباع الرسل؛ كَمَا قَالَ قومُ نُوحٍ لِنُوحٍ: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ الْآيَةَ [هُودٍ: ٢٧]؛ وَكما قَالَ هِرَقْلُ لأبي سُفْيَانَ ابنِ حَرْبٍ حِينَ سأله: "فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ ذِكْرِ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ، حديث رقم: ٣٥١٦، ومسلم- كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابٌ: مِنْ فَضَائِلِ غِفَارَ وَأَسْلَمَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَمُزَيْنَةَ وَتَمِيمٍ وَدَوْسٍ وَطَيِّئٍ، حديث رقم: ٢٥٢٢

٢ - سُورَةُ الْأَحْقَافِ: الآية/ ١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضُعَفَاؤُهُمْ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ"، ثم قَالَ هِرَقْلُ: وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ".[1]

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

سؤال الغرض منه التقرير؛ أي: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بالمؤمِنينَ الْمُتَقِينَ الشَّاكِرِينَ، فيغمرُهُم بإحسَانِهِ، ويشمَلُهُم برحمتِهِ، ويمن عليهم بالهديةِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[2]

---

١ – رواه البخاري– كتاب بَدْءِ الْوَحْيِ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، حديث رقم: ٧، ومسلم– كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، حديث رقم: ١٧٧٣

٢ – سُورة الْعَنْكَبُوتِ: الآية/ ٦٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٥٤، ٥٥

لما نَهَى اللهُ تعالى رَسُولَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن طردِ المستضعفين من مجلِسِهِ بقولِهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. [الْأَنْعَامِ: ٥٢]، أمره تعالى هنا بإكرامِهِم، ومؤانستِهِم والسَّلامِ عليهِم، أَمَنَةً من اللهِ لهم على ما اقترفوه من الآثامِ قبل توبتهم، تطيبًا لقلوبهم، وأن يبشر من تاب منهم وأصلح برحمة الله تعالى ومغفرته.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

أَيْ: أَوْجَبَ الرَّحْمَةَ عَلَى نَفْسِهِ، تَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِحْسَانًا مِنْهُ إِليهِم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي».[1]

﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾.

أي: من وقع في معصيةٍ بغيرِ قصدٍ، ولم يرتكب الذنب عنادًا واستكبارًا؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ﴾ [النِّسَاءِ: ١٧]، وقيل: كُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ، فَهُوَ جَاهِلٌ.

﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي: ثم ندم على تفريطه في حقِّ اللهِ، وأقلع عن الذنبِ، وأناب ورجع إلى الله، وعزم على عدم العودة للذنب، وأصلح بفعل الطاعات، والاجتهاد في القربات، فمن كان كذلك فإنه قريب من رحمة الله ومغفرته؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.[2]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، حديث رقم: ٣١٩٤، ومسلم– كتاب التوبة، بَابٌ: فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حديث رقم: ٢٧٥١

٢ – سورةُ طَهَ: الآية/ ٨٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

التَّفْصِيلُ: التَّبْيِينُ وَالتَّوْضِيحُ الَّذِي تَظْهَرُ بِهِ الْمَعَانِي، أي: وكما بيَّنَا فيمَا تَقَدَّمَ دلائل وحدانية الله تعالى، وبراهين صدقِ الرسول صلى الله عليه وسلم، للمشركين المعاندين، نفصل لكم أيها المخاطبون الآياتِ لتظهر معالم طريق المجرمين الذين آثروا الضلال على الهدى، والكفر على الإيمان، والغي على الرشاد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٥٦، ٥٧

يقول الله تعالى لرسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله تعالى، ودعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يتابعهم على ما هم فيه من الباطل، وعبادة الأوثان: قل لهم: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾. [الْكَافِرُونَ: ١- ٤]، ومعنى: تَدْعُونَ؛ تعبدون، إذ الدعاء هو العبادة؛ كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

ثم أمره الله تعالى أن يعلن لهم براءته من اتباعِ أهوائهم في عبادة الأوثان، وطرد المستضعفين من المؤمنين، ومخالفة الحقّ وركوب الشطط، في جميع مناحي حياتهم، وبين لهم علة مفارقتهم، فقال: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، يعني: إذا اتبعت أهواءكم، ويلزم منه وصفهم بالضلال لاتباعهم الهوى؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾. [القصص: ٥٠]، وقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، أبلغ من أن يقال: (وَمَا أَنَا مُهْتَدٍ)؛ لأن فيه تأكيدًا للنفي، ومعناه: وما أنا مِنَ الهُدَى فِي شَيءٍ؛ لأَنَّهُ قَدِ انْسَلَخَ عَنْ هَذِهِ الزُّمْرَةِ الَّتِي هذا وصفها، وَهُوَ أَشَدُّ مِنْ مجردِ الِاتِّصَافِ بِعَدَمِ الهُدَى.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾.

لما أمر الله تعالى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالبراءة من عبادة الأوثان، ومتابعة أولياء الشيطان في أهوائهم، أمره تعالى أن يبين لهم ما هو عليه من الهدى، وما عنده من الحجج والبراهين على توحيد الله تعالى، فقال: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾؛ أي: على بصيرة ويقين من دين الله الذي أوحاه إليَّ في كتابه الكريم، فلا أعبده إلا بما شرعَ، ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾، أي: وكذبتم أنتم بما شرعه الله تعالى في كتابه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾.

أَيْ: مِنَ الْعَذَابِ؛ كما حكى الله تعالى عنهم أنهم كَانُوا يَقُولُونَ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ [الْأَنْفَال: ٣٢]، وكانوا لفرط تكذيبهم يستعجلون العذاب؛ كما قالوا: ﴿رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ﴾ [ص: ١٦]، فبين لهم أن مردَّ ذلك إلى الله.

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ﴾.

إِنْ: نافية، والمعنى: الحكم في ذلك لله وحده، إن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره بحسب ما تقتضيه حكمته، يَقُصُّ الْقَصَصَ الْحَقَّ، أَوْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ، مِنْ قَصَّ الْأَثَرَ أَيِ اتَّبَعَهُ، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾، قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبي جعفر، وقرأ باقي العشرة: ﴿يَقْضِ الْحَقَّ﴾.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾. أي: وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ بَيْنَ العِبَادِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٥٨، ٥٩

لما استعجل المشركون نزول العذاب بهم، وتكرر ذلك منهم، وسألوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرارًا أن ينزل عليهم ما توعدهم به، وما حل بالأمم السابقة؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ:٥٣]، أمر الله تعالى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يقول لهم لا أملك أمر عذابكم، ذلك من أمر الله تعالى إن شاء عذبكم وإن شاء عفا عنكم، ولو كنت أملك أمر عذابكم لأوقعته بكم عند سؤالكم إياه، لكفركم بالله تعالى وصدكم عن سبيله، وتكذيبكم لرسوله، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾، الذين يستحقون العذاب، وهو أعلم بوقت إنزاله عليهم.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾.

هذا من باب عطف العام على الخاص فكما أنه تعالى أعلم بحال الظالمين، وأعلم بوقت عذابهم، فعنده كذلك مفاتح الغيب لا يعلمها سواه، والمفاتحُ جمع مِفتَح، وهو المفتاحُ، وقد ورد بيانها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. [لقمان: ٣٤]، وأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن هذه الخمس هي مفاتيح الغيب، وأن الله تعالى يختص بعلمها، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ ".[1]

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]، وَ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وَ ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧]، حديث رقم: ٧٣٧٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

أي: ويعلم ما على ظهر الأرض من كائنات حية وجمادات، ومتحرك وساكن، ويعلم ما في البحر من كائنات حية وجمادات، ومتحرك وساكن، لا يعزب عن علمه شيءٌ.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾.

أَي: لا يعزب عن علمه شيءٌ، حَتَّى حَرَكَة الْجَمَادَاتِ يَعْلَمُهَا، فما تسقط أي ورقة شجر إلا بعلم الله تعالى.

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

أي: ولا يعزب عن علمه شيءٌ ولا حبة وإن كانت في ظلمات الأرض إلا ويعلم متى تنبت، وكم تنبت ومن يأكلها، ولا يغيب عن علمه رطب ولا يابس، في بر أو بحر، وما من شيء من ذلك إلا وهو مسطرٌ في اللوح المحفوظ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٦٠

من دلائل وحدانية الله تعالى قدرته العظيمة، لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة علمه الشامل، ذكر هنا قدرته الباهرة التي لا منتهى لها، ومن دلائل قدرته تعالى أنه يتوفى أنفس العباد بالليل، وأصل التوفي: استيفاء الشيءِ، يقال للميت: توفي لأنه اسْتَوْفَى أَيَّامَ عُمُرِهِ، واستوفى رزقه، وَاسْتَوْفَيْتُ حَقِي إِذَا أَخَذْتُهُ كاملًا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.[1]

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾، يعني: الوفاة الصغرى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزُّمَرِ: ٤٢]، وقيل للنوم وافاة؛ لأنه يشبه الموت بجامع انقطاع الحركة، لاستيفاء النائم حركته حال اليقظة.

﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾.

أي: ويعلم ما اكسبتم من أعمال الجوارح بالنهار، ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾. أي: ثم يبعثكم في النهار من نومكم بردِّ أرواحكم، ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾، أي: ليستوفي كل إنسان أجله الذي قدره الله تعالى له.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير، وتقدير الكلام: وهو الذي يتوفاكم بِاللَّيلِ ثُمَّ يَبعَثُكُم بِالنَّهَارِ وَيَعلَمُ مَا جَرَحتُم فِيهِ.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أي: ثُمَّ إلى اللهِ مرجعكم ثم يخبركم بأعمالكم ويحاسبكم عليها، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيءَ بإساءته.

وفي الآية دليل على البعث والنشور؛ فالذي ردَّ أرواح العباد ببعثهم من نومهم في الوفاة الصغرى، قادر على بعثهم من موتهم في الوفاة الكبرى.

---

١ - سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٥٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٦١، ٦٢

ومن دلائل قدرة الله تعالى علو القهر؛ فهو تعالى قهر الخلق بقدرته، فخضعوا جميعًا لسلطانه، وذلوا لعظمته وكبريائه، والله تعالى متصف بعلو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر، فما من شيءٌ إلا وتجري عليه أحكام الله تعالى، فيعز من يشاء ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، لا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه.

﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

ومن كمال حكمته تعالى أن يرسل ملائكة يحفظون بني آدم، فإذا جاء قدر الله خلوا بينه وبينه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرَّعْدِ: ١١]؛ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟».[1]

وحفظة يحفظون أعمال العباد ويدونون عليهم أعمالهم، ويحصون عليهم أقولهم وأفعالهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.[2]

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

أي: حتى إذا حان الأجل، وجاءت أسباب الموت قبضت ملائكة الموت الروح، ولا يقصرون في تنفيذ أمر الله تعالى، ولا يقصرون في حفظ أرواح العباد، فإن كان مؤمنًا تقيًّا قبضت روحه ملائكة الرحمة وصعدت بها إلى عليين، وإن كان فاجرًا شقيًّا قبضت روحه ملائكة العذاب، وألقت بها في سجين؛ كما قال تعالى عن الفجار: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ

---

١ - رواه أبو داود- كِتَاب الْأَدَبِ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، حديث رقم: ٥٠٩٥، والترمذي- أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، حديث رقم: ٣٤٢٦، بسند صحيح

٢ - سورةُ الِانْفِطَارِ: الآيات/ ١٠- ١٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَفِي سِجِّينٍ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ:٧]، وقال تعالى عن الأبرار: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾.[1]

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾.

أي: ثم يُرَدُّ الخلائقُ جميعًا بالبعث والنشور، إلى خالقهم ورازقهم، للجزاء والحساب.

﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾.

أي: له الفصل والقضاء بين العباد، وتقديم الجار والمجرور لقصر ذلك عليه، فلا حكم يومئذٍ إلا لله.

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾؛ لكمال علمه بخلقه.

١ - سورة الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ ١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٦٣، ٦٤

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ المشركين الذين يدعون من دون الله من لا يستجيب لهم إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون: من الذي ينجيكم من القفار المهلكة إذا ضللتم فيها، ومن البحار العظيمة إذا هاجت الريح، وتلاطمت الأمواج، وأشرفتم على الهلاك؟

وقوله: ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾؛ لأنها أشد ساعات البلاء؛ لاجتماع ظلمة الليل وعدم الاهتداءِ، وشدة الريح.

وقيل: ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: أَيْ شَدَائِدِهِمَا، يُقَالُ: يَوْمٌ مُظْلِمٌ إِذَا كَانَ شَدِيدَ الكربِ.

﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

ألستم تدعون الله تعالى مخلصين له الدين، إذا ادلهمت الخطوب، وعم البلاء، وعظم الكرب؟ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٦٧]، فترفعون أكف الضراعة، وتظهرون التذلل، وتخلصون له الدعاء، وتكثرون عليه الثناء سرًا وجهرًا، ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ﴾، الكربة، وكشف عنا البلاء ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، له على نعمائه بتوحيده وعبادته.

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

أي: قل لهم يا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الله هو الذي ينجيكم منها، وهو الذي ينجيكم من كل كرب يحل بكم، لا هذه الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم شيئًا، ومع ذلك تشركون به، فتصرفون لها من العبادات مالا ينبغي إلا لله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٦٥

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا بين للمشركين أنه هو الذي نجاهم من الهلاك في الفيافي والقفار، وهو الذي نجاهم من موارد الهلاك في ظلمات البحار، ذكر تعالى هنا أنه قادر على يبعث عليهم عذابًا يستأصلهم حال الأمن والدعة، وابعد ما يكونون عن مواطن الهلاك.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾.

يقول الله تعالى لرسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ المشركِينَ المكذبِينَ: إن الذي نجاكم من ظلمات البر والبحر أقرب ما تكونون إلى الهلاك، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وأشركتم، قادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم، كما أهلك عادًا بعذاب يوم الظلة، وكما أمطر على قوم لوط حجارة من السماء، أو بالطوفان كما أغرق قوم نوح.

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

أو يبعث عليكم عذابًا من تحتكم فيخسف بكم الأرض، كما خسف بقارون الأرض، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: الْخَسْفُ.

وقالَ السُّدِّيُّ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: فَعَذَابُ السَّمَاءِ، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: فَيَخْسِفُ بِكُمُ الْأَرْضَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ يَعْنِي: أُمَرَاءَكُمْ. ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، يَعْنِي: عَبِيدَكُمْ وَسَفَلَتَكُمْ.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾.

﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: يَخْلِطَكُمْ مِنَ الِالْتِبَاسِ، و ﴿شِيَعًا﴾؛ أي: يجعل أمركم مختلطًا، فتتفرقون فرقًا متنازعة، وأحزابًا مختلفة الأهواء، يقاتل بعضكم بعضًا، على أمر الدنيا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -».[1]

وعن عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا».[2]

﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

أي: انظر يا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف نبين لهم الآيات ونوضحها لفهموا عن الله تعالى مراده، ويدركوا حججه وبراهين وحدانيته.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾. [الأنعام: ٦٥] الآيَةَ، حديث رقم: ٤٦٢٨

٢ - رواه مسلم- كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، حديث رقم: ٢٨٩٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٦٦، ٦٧

لما توعدهم الله تعالى بالعذاب على كفرهم، وأخبر عز وجل أنه صرف الآيات لعلهم يفقهون، قال هنا: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾؛ أي: فلم يفقهوا عن الله تعالى مراده، ولم يفهموا المراد من الحجج والبراهين، بل كذب قومك الذين أرسلت إليهم بهذا الوعيد الذي توعدهم الله به، وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويحتمل أن يكون المراد بالضمير في قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾، عائدًا على القرآن، وهو مشتمل على الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، كما تقدم في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ [الْأَنْعَام: ٥٧]، أَيْ وَكَذَبْتُمْ بِالْقُرْآنِ، فإِنَّهُ البينةُ التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾.

أَيْ: لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ؛ حَتَّى أُجَازِيَكُمْ عَلَى تَكْذِيبِكُمْ وَإِعْرَاضِكُمْ عَنْ الحقِّ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الْأَنْعَام: ١٠٧]؛ وكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾.[1]

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

أَيْ: لِكُلِّ خَبَرٍ قَرَارٌ يَسْتَقِرُّ عِنْدَهُ، وَيَنْتَهِي إِلَيْهِ، وعنده يتبين صدقه من كذبه، وعنده سوف تعلمون مغبةَ تكذيبكم، وهو تهديد ووعيد لهم.

١ - سورةُ الْغَاشِيَةِ: الآية/ ٢١، ٢٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٦٨

لما قَالَ اللهُ تَعَالَى عن المشركين: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم أن الذي يجازيهم على تكذيبهم هو الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، ذكر الله تعالى هنا فرقًا أخص من هؤلاء الكفار المكذبين وهو الذين يخوضون في آيات الله تعالى بالسخرية والاستهزاء، وأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم؛ لأنهم لا يجدي معهم وعظ ولا ينتفعون بحجة ولا برهان.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾.

الخوض لغة: المشي في الماء؛ والمراد هنا يخلطون بآيات الله الكذب والباطلَ استهزاءًا بها وافتراءً على الله تعالى، وتنفيرًا للناس عن دينه.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

أمره الله تعالى بالإعراض عنهم وترك مخالطتهم، ما داموا يخوضون في آيات الله ويستهزؤون بها ويخلطون بها الكذب والباطل، حتى يتركوا ما هم فيه، ويخوضوا في غيره، والخطاب هنا خاص ويراد به العموم؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ نزلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النِّسَاءِ: ١٤٠]، فلا يحل لمسلم مجالسة من يخوض في آيات الله ويستهزئ بها، ولو كان يزعم أنه مسلم؛ وفي الآية دليل على وجوب هجر أهل البدع.

قَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا جَالَسُوا الْمُؤْمِنِينَ وَقَعُوا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنِ فَسَبُّوهُ وَاسْتَهْزَءُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ لَا يَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ.[1]

١ - رواه الطبري (١١/ ٤٣٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾.

ثم رفع الله تعالى الحرج عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن الأمة حال النسيان، والنسيان عرض من الأعراض البشرية التي تطرأ على الأنبياء عليهم السلام؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي».[1]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».[2]

ونسب النسيان للشيطان لأنه المتسبب فيه.

﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

أي: فلا تقعد معهم بعد أن تتذكر الأمر بالإعراض عنهم، والنهى عن مجالستهم، ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، ولم يقل: فلا تقعد معهم؛ ليسجل عليهم الظلم الذي تلبسوا به بالخوض في آياته تعالى.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ التَّوَجُّهِ نَحْوَ القِبْلَةِ حَيْثُ كَانَ، حديث رقم: ٤٠١، ومسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ لَهُ، حديث رقم: ٥٧٢

٢ - رواه ابن ماجه- كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ طَلَاقِ الْمُكْرَهِ وَالنَّاسِي، حديث رقم: ٢٠٤٥، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩) وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٦٩، ٧٠

لما نهى الله تعالى المؤمنين عن مجالسة الذين يخوضون في آيات الله ويستهزؤون بدينه، بين تعالى أن المؤمنين المتقين يجب عليهم أن يدعو هؤلاء إلى دين الله تعالى، ولا إثم عليهم إذا طرق سمعهم شيءٌ من كلامهم الذين يخوضون به في آيات الله، بل يجب على المتقين أن يُذَكِّروا هؤلاء الذين يخوضون في آيات الله بما ينتظرهم من العذاب الأليم إذا لقوا الله تعالى على تلك الحال الإعراض والعناد والمخاصمة بالباطل.

ومن في قوله تعالى: ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، تفيدُ نفي وقوع أدنى شيءٍ من حساب هؤلاء المستهزئين على المؤمنين المتقين، وهو مقتضى عدل الله تعالى، وهو من تمام فضله على المتقين.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بترك هؤلاء المجرمين غارقين في غيهم، والإعراض عنهم؛ لأنهم اتخذوا دين الله لعبًا ولهوًا وسخريةً واستهزاءً، ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، فظنوا أنهم خلقوا عبثًا، وتركوا هملًا، وأنهم مخلدون فيها.

﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾.

أي: وَذَكِّرِ بِهَذَا الْقُرْآنِ النَّاسَ، وأنذرهم عذابه إذا أشركوا به، وحذرهم سخطه إذا خالفوا أمره، ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾، (أنْ) هنا نافية؛ أي: لئلا تبسل نفسٌ، أي: ترتهن وتحبس بما اقترفت من الشرك والآثام؛ وأصل الإبسال: التحريم، وَالْمُرْتَهَنُ مُبَسَّلٌ؛ لِأَنَّهُ مُحْرُومٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِمَّا رُهِنَ فِيهِ؛ كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣٨، ٣٩]، وَالِارْتِهَانُ الْحَبْسُ عَنِ الْخَيْرِ.

قَالَ قَتَادَةَ: ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾: تُؤْخَذُ فَتُحْبَسُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾؛ أي: تُفْضَحَ. والافتضاح من لوازم الأخذ والحبس، نسأل الله المعافاة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

أي: ليس لها من دون الله قريب يتولى أمرها، ولا شفيعٌ يشفع لها.

﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾.

الْعَدْلُ: الْفِدْيَةُ، أي: وإن تبذل كل ما يمكن بذله لا يؤخذ منها؛ كما قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.[1]

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾.

أي: أُولَئِكَ الَّذِينَ حُرِمُوا الْجَنَّةَ وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةُ، بِمَا كَسَبُوا من الكفرِ والعنادِ.

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾.

أي: لهم شرابٌ حارٌ لا يروي غليلًا، تتقطع به أمعاؤهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، ويصبُ من فوق رؤوسهم، فتصهر به ما في بطونهم والجلود.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

أي: ولهم عذابٌ مؤلمٌ بما كانوا يعتقدون من الكفر بالله تعالى، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر.

---

١ - سورة الْحَدِيدِ: الآية/ ١٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٧١، ٧٢

كان المشركون يحاولون صَدَّ المسلمين عن دينِ اللهِ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، وكانوا يدعون من آمن لعبادة الأوثان، والارتداد عن دين الإسلام، وتكرر ذلك مرارًا، وسلكوا لتحقيق ذلك كل سبيلٍ، تارةً بالترغيب؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، وتارة بالترهيب؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزُّمَر: ٣٦]؛ قَالَ السُّدِّي: قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا، وَاتْرُكُوا دِينَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾.[1]

﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾.

أي: قل لهم يا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾، أي: أنعبدُ من دون الله أوثانًا لا تنفع من عبدها ولا تضر من كفر بها؟ والغرض من السؤال الإنكار، وذكر النفع والضر لأنهما غاية ما يسعى إليه العُبَّادُ من العبادة.

﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

أي: ونرجع من الإيمان بالله إلى الكفر والضلال، بعد أن مَنَّ الله علينا بنعمة الإسلام؟

﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾.

فنكون في ذلك كمثل الذي استغوته الشياطين فألقت به في المهامه المهلكة، حتى هوى في الأرض ضالًا تائهًا، لا يدري أي سبيل يسلك، والحيرة: التردد في الأمر وعدم الاهتداء للصواب فيه، والْهُوِيُّ فِي الْأَرْضِ، هُوَ النُّزُولُ مِنَ الْمَوْضِعِ الْعَالِي إِلَى الْوَهْدَةِ السَّحِيقَةِ؛ كما قال

---

١ - تفسير الطبري (١١/ ٤٥٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الْحَجّ: ٣١]، فشبه تعالى المشرك بحال هذا الضال التائه.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾.

أي: وقد ترك رفاقَه على الجادة يدعونه إلى الهدى أن تعال وارجع إلينا، وهو يوغل في الضلالِ.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾.

أي: قل يا محمد إنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهدى النافع، الذي يسلك بصاحبه سبيل الجنة.

﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي: وأمرنا أن نسلم قيادنا، ونخلص العبادة لرب العالمين.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وأمرنا أن نقيم الصلاة، وأن نتقي الله حق التقوى، وأن نعلم ونقرَّ أنَّ مصيرنا إليه للحساب والجزاء يوم القيامة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٧٣

ومن دلائل وحدانية الله تعالى، وقدرته الباهرة أنه هو لا أحد سواه الذي خلق السماوات السبع والأرض بالحقِ، أي ما خلقهما الله تعالى باطلًا، ولا أوجدهما عبثًا كما يزعم الكفار – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، فالحق هنا يقابل الباطل، ويقابل اللعب والعبث كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.[1]

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

أي: ومن دلائل قدرته، أنه حين يقول للشيء كن فيكون، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولفظ (يَوْمَ) ظرف المراد به أي وقتٍ؛ لأن ذلك لا يختص بيوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. [يس: ٨٢]؛ كقولهم: يوم أقول لك افعل كذا فافعل. أي: عند قول لك، وليس المراد بذلك يومًا بعينه، وأيضًا حتى لا يكون في الكلام تكرار.

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾.

أي: وكما أنه خلق السماوات والأرض بالحقِّ، فقوله الحقُّ الذي لا يشوبه باطل، ولا يخالطه كذب.

﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

خصَّ الملك بالذكر ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، وهو يوم القيامة؛ لأنه لا مالك يومئذٍ سواه، فينتفي عن العبادِ كلُ ملك حتى المجازي؛ كما قال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، وكما قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غَافِرٍ: ١٦]، والْمُرَادُ بِالصُّورِ: القَرْن الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فعَنْ أَبِي

١ – سورة الدخان: الآية/ ٣٨، ٣٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ» قَالَ المسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا».[1]

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.

أي: ومن دلائل وحدانيته، ومن عظيم قدرته، أنه تعالى أحاط بكل شيءٍ علمًا، فالسر عنده علانية، والغيب والشهادة بالنسبة للخلقِ، أما الله تعالى فإنه: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.[2]

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

تذييلٌ لتقرير حكمته البالغة في خلق السماوات والأرض وما بينهما، وهو الخبير بعباده وبما تضمره نفوسهم.

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٣٠١٠، والترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ وَمِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ، حديث رقم: ٣٢٤٣، بسند صحيح

٢ – سورة طَهَ: الآية/ ٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٧٤- ٧٩

مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا ذكر فيما مضى من الآيات جملة من الحجج والبراهين على وحدانيته تعالى، وذكر شيئًا من دلائل قدرته الباهرة، ذكر عقب ذلك تلك المناظرة العجيبة التي وقعت بين إبراهيم عليه السلام وقومه، والتي أفلجت حجته، ودمغت شبهات المشركين، فبهتوا لسطوع نورها، وأرموا لقوة برهانه عليه السلام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: واذكر إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ.

والتصريح باسم والد إبراهيم هنا ردٌّ على أهل الكتاب الذين افتروا على الله تعالى الكذب مرارًا فيما زادوه في كتبهم ونسبوه لله تعالى زورًا وبهتانًا، فتارة بذكر الأسماء التي لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي، وتارة ذكر النسب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وتارة بذكر عمر الإنسان على وجه الأرض، وكلها غيبيات لا علم لأحد من البشر بها؛ كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]، والعجب ممن يترك ما ذكر صراحة في كتاب الله تعالى لما وقع في كتب أهل الكتاب، مع ما أخبر الله تعالى عنهم من تحريفهم لكلامه، وافترائهم عليه، فيذكر عن بعض علماء المسلمين أنه أبا إبراهيم عليه السلام كان اسمه تارح؛ لأنه الذي يوجد في التوراة، ثم يتأول لما ورد في القرآن التأويلات، فمنهم من يقول آزر هو اسم الصنم الذي كان يعبده أبوه، فيكون معنى قوله: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا﴾ أي: يَا أَبَتِ، أَتُتَّخِذُ آزَرَ أَصْنَامًا آلِهَةً، وهو كلام لا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يصح لغة، ومنهم من يقول: هو اسم الصنم الذي كان يعبده غلب عليه فعرف به، ومنهم من يقول كان له اسمان آزر وتارح، ومنهم من يقول هو اسم عمه، وأن أباه كان موحدًا، وذكروا لذلك تأويلاتٍ باردةً لا يصلح شيءٌ منها لردِّ ظاهر القرآن، وصحيح السنة المطهرة؛ وقد ذكر الله تعالى والد إبراهيم في عدة آيات وما ذكر في آية واحدة بغير صفة الأبوة؛ كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤١- ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ* إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٢٦، ٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّه عَدُوٌ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ".[2]

﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

سؤال الغرض منه الإنكار على أبيه وقومه عبادة الأوثان وجعلها آلهة من دون الله تعالى، ولا شك أن هذا هو أبين الضلال، وليس في هذا القول من إبراهيم لأبيه شيئًا من الجفاءِ، بل هو الواجب على كل موحدٍ أن يتبرأ من الشرك وأهله ولو كان من وقع في الشرك أقرب قريب.

---

١ - سورة التَّوْبَةِ: الآية/ ١١٤

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، حديث رقم: ٣٣٥٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

(الْكَافُ) فِي قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾، لِلتَّشْبِيهِ؛ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِقْبَاحِهِ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَهُوَ قَوْلُهُ لِأَبِيهِ: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: وكما أَرَيْنَاهُ قَبْحَ عبادةِ الأصنامِ نريه ملكوت السماوات والأرض.

وَالْمَلَكُوتُ مَصدَرٌ كَالرَّحَمُوتِ وَالجَبَرُوتِ، وَالوَاوُ وَالتَّاءُ فِيهِ لِلمُبَالَغَةِ.

والمرادُ بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أن الله تعالى وفقه لإدراك الحكمة الإلهية من خلق الكائنات بالتفكر فيها، والتأمل في بديع صنع الله تعالى، وهو أمر يغفل عنه كثير من الناس، فلا يرون لله تعالى في تلك المخلوقات حكمة إذا التفتوا إليها، وأكثرهم لا يلتفتون إليها أصلًا؛ لاعتيادهم على رؤيتها؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٥]، وما ذاك إلا لتلك الحجب التي تغشى الأبصارَ والبصائرَ، فيرى الواحدُ آيةً في غايةِ العجبِ فلا يُلقي لها بالًا ولا يعيرها التفاتًا؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[1]

وقد حَذَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من تلك الحالِ التي يرى النَّاسُ فيها آياتِ اللهِ ويعرضون عنها ولا يلتفتون إليها؛ فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: قَامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾» الْآيَةَ [آل عمران: ١٩٠].[2]

---

١ – سورة الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ ١٤

٢ – رواه ابن حبان– كتاب الرقائق، بَابُ التَّوْبَةِ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمَرْءَ عَلَيْهِ إِذَا تَخَلَّى لُزُومُ الْبُكَاءِ عَلَى مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْحَوْبَاتِ وَإِنْ كَانَ بَائِنًا عَنْهَا مُجِدًّا فِي إِتْيَانِ ضِدِّهَا، حديث رقم: ٦٢٠، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

أي: وأريناه مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ وهي أرفع رتبةٍ، وفيها يكون الغيب كالعيان؛ وفيها طمأنينة القلب؛ كما قال تعالى عن إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.[1]

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾.

أَيْ: فَلَمَّا تَغَشَّاهُ وَسَتَرَهُ بِظُلْمَتِهِ، وَمِنْهُ الْجِنُّ؛ لِأَنَّهُمُ اسْتَتَرُوا عَنْ أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ، والْجَنَّةُ؛ لأنها تواري مَنْ دَخَلَهَا، وَالْمِجَنُّ؛ لأنه يسترُ مَنْ تترس به.

﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾.

أَيْ: رَأَى نَجْمًا.

﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾.

قال ذلك استدراجًا لقومه؛ لأنهم كانوا يعبدون الكواكب؛ أي: قال تنزلًا معهم في الخطاب: هذا ربي بزعمكم.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾.

أَيْ: فَلَمَّا فَلَمَّا غَابَ وَذَهَبَ، والْأُفُولُ: الذَّهَابُ والغِيابُ، ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾، قالَ قَتَادَةُ: عَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ دَائِمٌ لَا يَزُولُ.

وهذا من إبراهيم عليه السلام في مقام المناظرة، وإقامة الحجة على قومه، وليس كما يزعم بعض العلماء أنه كان في سرب منذ ولادته فلما خرج كبيرًا قال ذلك، والدليل على أن المقام مقام مناظرة وليس مقام نظر قوله تعالى بعد تمام المناظرة: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٨٣]، وأما قوله عليه السلام: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٧٧]، فلإقامة الحجة على قومه؛ كما قال عليه السلام لما كَسَّرَ أصنامهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، ليثوبوا إلى رشدهم، ويرجعوا عن غيهم.

---

١ - سُورةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾.

أَيْ: فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ طَالِعًا، ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾؛ أي: هذا أولى بالعبادة من الكوكب على قولكم؛ لأنه أكثرُ إضاءةً منه، قال ذلك استدراجًا لهم، لم يشرك إبراهيم عليه السلام قط.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾.

أي: فَلَمَّا أَفَلَ القمرُ كما أفل الكوكب، دلَّ ذلك على أنه لا يستحق العبادةَ، وأن أولى الناس بوصف الضلال، من لم يهده الله تعالى.

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾.

مازال الحديث في التدرج المنطقي لنفي الألوهية عن هذه المخلوقات، حيث بدأ بالأصغر فالأكبر، وبالأقل ضوءً فالأكثر ضوءً، وإنما قال ذلك لتقرير الحجة على قومه، وأنَّ الشمس أولى بالعبادة من القمر لأنها أكبر، ولأنها أكثر ضوءً، فتقرر في أذهان قومه أن القمر والنجوم لا تستحق العبادة، لصغرها بالنسبة للشمس.

وَإِنَّمَا قَالَ فِي الشَّمْسِ: (هَذَا) مَعَ أَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ، وَلَمْ يَقُلْ (هَذِهِ) رِعَايَةً لِلْأَدَبِ مع اللهِ تعالى، وَهُوَ تَرْكُ التَّأْنِيثِ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ.[1]

﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

أَيْ: فَلَمَّا فَلَمَّا غَابَتْ وَذَهَبَتْ، أعلن توحيده لله تعالى وبراءته مِمَّا يُشْرِكُونَ، وأنَّ هذه الأجرام لها إله قادرٌ حكيم خالقٌ يسيرها.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

أي: إِنِّي أقبلت بقصدي وعبادتي وطاعتي وتوحيدي للهِ تعالى، وهو كناية عن كمال الطاعة لله تعالى، وقال: ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، ولم يقل لله؛ ليبين لقومه أنه خالق الشمس والقمر والكواكب؛ لأنه خالق السماوات، وخالق الأوثان التي يعبدونها؛ لأن خالق الأرض التي هم عليها.

---

١ - تفسير الرازي الكبير (١٣/ ٤٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

أي: حال كوني مَائِلًا عن الباطلِ إِلَى الْحَقِّ، ثم نَفَى عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُبَالَغَةً فِي التَّبَرُّؤِ مِنْهُمْ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٨٠

أي: وجادله قومه في توحيده لله تعالى بشبه أثاروها، وحجج باطلة زعموها، حتى لا تميل إليه قلوب الناس؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، وقد ذكر الله تعالى تفصيل تلك المحاجة التي كانت بين إبراهيم وقومه في عدة مواضع من القرآن منها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.[٢]

﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾

أَيْ: أتُجَادِلُونَنِي فِي توحيدِ اللَّهِ، وَقَدْ منَّ عليّ بنعمةِ الهدايةِ للْحَقِّ ووفقني إِلَيهِ؟ وهو سؤال الغرض منه الإنكار عليهم.

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾.

أي: وَلَا أَخَافُ مَا تتوعدوني به بطش هذه الأوثان، فإنها لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع، يلزم من قوله هذا أنهم كانوا يتوعدونه بغضب الأوثان عليه؛ كما قال المشركون لضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه حين قَالَ: بئست اللَّاتُ وَالْعُزَّى! قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ! اتَّقِ الْبَرَصَ، اتَّقِ الْجُذَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ! قَالَ: وَيْلَكُمْ! إِنَّهُمَا وَاللَّهِ لَا يَضُرَّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ.[٣]

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، استثناء منقطع؛ أي: ولكن الذي يملك النفع والضر هو الله، فهو الذي أخافه وأرجوه.

---

١ - سورة الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٥٢- ٥٤

٢ - سورة الشُّعَرَاءِ: الآية/ ٦٩- ٧٤

٣ - سيرة ابن هشام (٢/ ٥٧٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

أي: أحاط علم ربي بكل شيءٍ؛ فلا يعزب عنه مثقال ذرة، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، ما بينته لكم، وأن أوثانكم لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر؟

فما أشدَّ غفلتكم!، وما أسرعَ ما نسيتم!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٨١، ٨٢

لَمَّا خوفه قومه أن تبطش به أوثانهم، قال لهم منكرًا عليهم ومتعجبًا من كلامهم: كيف أخاف أوثانًا جعلتموها شركاء لله تعالى، ولم تخافوا أنتم أنكم أشركتم بالله أصنامًا لا تخلق شيئًا ولا تنفع ولا تضر، ولم يجل الله تعالى لكم حجة وبرهانًا لعبادتها، ثم سألهم مقررًا لهم: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، الموحدون الذين عَبَدوا الخالقَ القهارَ، الذي لا يَخفَى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، أم المشركون الذين عَبَدوا ما لا يملكُ لهم نفعًا ولا يدفع عنهم ضرًا؟

والمراد بالسلطان هنا: الحجة والبرهان؛ لأنها تتسلط على نفس الخصم لقوتها.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أَيْ: إِنْ كُنتُم مِن أَهلِ الْعِلْمِ فَأَخبِرُونِي أَيُّ الفَرِيقَينِ أَحَقُّ بِالأَمنِ، وفيه تعريضٌ بما هم عليه من الجهلِ.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

أَيْ: الذِينَ آمَنُوا بالله ربًا، وأخلصوا له العبادةَ دون سواه، ولم يخلطوا إِيمانَهم بشيءٍ من الشركِ هم أحقُّ النَّاسِ بالأمنِ يومَ القيامةِ، وهم أولى النَّاسِ بالهدايةِ في الدنيا، والمرادُ بالظلم هنا الشرك؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ".[١]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، حديث رقم: ٤٧٧٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٨٣

أي: وتلك المناظرة التي حاج إبراهيم بها قومه، فغلبهم وأقام الحجة عليهم، هي من تعليم الله تعالى له ومن إفهامه، وهذا دليلُ أنه كان في مقام المناظرة وليس في مقام النظر كما قلنا.

وعدي الْإِيتَاءُ ب (عَلَى) في قوله: ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾، لتَضَمُّنُهُ مَعْنَى النَّصْرِ؛ أي: نَصَرْنَاهُ بها عَليهِم.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾.

أَيْ: نَرْفَعُ مَنْ نَشَاءُ دَرَجَاتٍ، بِالنبوةِ والْعِلْمِ وَالْفَهْمِ فِي الدُّنْيَا، وَبِالثَّوَابِ وَالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، وهي قراءةُ الْكُوفِيِّينَ بِتَنْوِينِ دَرَجَاتٍ، وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، بِإِضَافَةِ دَرَجَاتٍ إِلَى مَنْ، فيكون الرفعُ للدرجات، ورفع الدرجات رفع لصاحبها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

أَيْ: إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلْقِهِ بِمَنْ يُوفِقهُ للهُدَى وَمَنْ يُضِلُّهُ، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ هنا ولم يقل: (إن الله) تطمينًا لقلبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّه تعالى سيؤيده بنصره، كما نصر إبراهيم؛ لأنه يتعهدُ أولياءه بتوفيقه وتأييده.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٨٤

يخبر الله تعالى عما جزى به خليله إبراهيم عليه السلام على جهاده المشركين بالحجة والبرهان، وعلى ما قام لله تعالى به من المقامات المحمودة والمواقف المشهودة، ومجابهة الطغاة والجبارين، دفاعًا عن توحيد الله تعالى، واعتزازًا بدين الله عز وجل، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾، وامتنان الله تعالى عليه من وجهين الأول: أنه وهبهما له حال الكبر، وقد انقطعت أسباب الإنجاب من جهته، وكانت امرأته عاقرًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هُودٍ: ٧١، ٧٢]، وقَالَ تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾.[١]

والوجه الثاني امتنانه عليه بنبوتهما كَمَا قَالَ تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٤٩]، وهذا معنى قوله تعالى هنا: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾، وقَالَ تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.[٢]

فالمراد بالهداية هنا الاصطفاء بالنبوة والرسالة؛ كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾.[٣]

﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾.

أي: وكما هدينا إبراهيم، لتجريد التوحيد لرب العالمين، هدينا نوحًا قبله، حين ماجت الأرض بالكفر، وعبدت الأوثان من دون الله تعالى، فقام ينهى عن الشرك ويأمر قومه بعبادة

١ - سورة الأنبياء: الآية/ ٧٢

٢ - سورة الصَّافَّاتِ: الآية/ ١١٢

٣ - سورة ص: الآية/ ٤٥- ٤٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله وحده؛ فكما كان التوحيد سمة إبراهيم عليه السلام، كان كذلك سمة الرسل قبله وأولهم وأعظمهم نوح عليه السلام.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي: ومن ذريةِ نوحٍ عليه السلام؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مَذْكُورٍ؛ وَلِأَنَّ فِي جُمْلَتِهِمْ يُونُسَ ولُوطًا وَهُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ فَهُمَا مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ لَا مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وهو الراجِحُ.

وقيل: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾؛ أي: من ذرية إبراهيم؛ لِأَنَّهُ الَّذِي سَبَقَ الْكَلَامُ مِنْ أَجْلِهِ، ودخل لوطٌ في الذرية تغليبًا، وإن لم يكنمن ذريته حقيقة؛ لأنه ابن أخيه.

وبدأ تعالى بذكر ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾؛ لأنهما جمعا الملك مع النبوة، وَقَدَّمَ دَاوُدَ لِكَوْنِهِ أَبًا لِسُلَيْمَانَ، ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾. قَرَنَهُمَا لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الابتلاءِ أَيُّوبُ بِالابتلاءِ فِي جَسَدِهِ وَيُوسُفُ بِالابتلاءِ بِالسِّجْنِ وَغُرْبَتِهِ عَنْ أَهْلِهِ، ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾. قَرَنَهُمَا لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْأُخُوَّةِ وَقَدَّمَ مُوسَى لِأَنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

أَيْ: وَمِثْلَ ذَلِكَ الْجَزَاءِ من التأييدِ والتوفيقِ، والذرية الصالحة، نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ فِي عِبَادَتِنَا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٨٥- ٨٧

أي: وهدينا من ذريةِ نوحٍ زكريا ويحيى وعيسى كما هدينا نوحًا وإبراهيم، وكل واحدٍ من هؤلاء من جملة الصالحين؛ لأنهم من الرسل الذين اصطفاهم الله تعالى.

وقد استدل العلماء بهذه لآية والتي قبلها على دخول أولاد البنات في ذرية الرجل، فَإِذَا أَوْصَى الرَّجُلُ لِذُرِّيَّتِهِ، دَخَلَ أَوْلَادُ الْبَنَاتِ فِيهِمْ؛ فعَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الأَسْوَدِ قَالَ: أَرْسَلَ الْحَجَّاجُ إِلَى يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَجِدُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ قَرَأْتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ. قَالَ: أَلَيْسَ تَقْرَأُ سُورَةَ الأَنْعَامِ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ حَتَّى بَلَغَ: وَيَحْيَى وَعِيسَى؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ؟ قَالَ: صَدَقْتَ.[1]

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

أي: وهدينا من ذريةِ نوحٍ إسماعيل واليسع ويونس ولوطًا، يَعْنِي: وَفَضَّلْنَاهم عَلَى الْعَالَمِينَ فِي أَزْمَانِهِمْ.

قال أبو حيان: وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِعُمُومِ الْعَالَمِينَ وَهُمُ الْمَوْجُودُونَ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَنْدَرِجُ فِي الْعُمُومِ الْمَلَائِكَةُ.[2]

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾.

أي: وَهَدَيْنَا مِنْ آبَاءِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تقدمَ ذِكْرُهُم وَمِنْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ آخَرِينَ سِوَاهُمْ، واصطفيناهم على الناسِ واخترناهم لإبلاغ الرسالة لأممهم، والاجتباء: الاصطفاء والاختيار، والمراد هنا النبوة والرسالة.

وَقالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: أَخْلَصْنَاهُمْ.

---

١ - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٣٥)

٢ - البحر المحيط في التفسير (٤/ ٥٧٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أي: وأرشدناهم إلى طريق لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإيمان، وهو الإسلام الذي لا يرتضي الله تعالى دينًا سواه.

وأجمل الله تعالى ذكرهم لكثرتهم، وذكر هنا ثمانية عشر رسولًا، من جملة خمسة وعشرين ذكروا في القرآن؛ ذَكَرَهُمُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ:

فِي ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ **** مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمُ

إِدْرِيسُ هُودُ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا **** ذُو الكِفْلِ آدَمُ بِالمخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٨٨- ٩٠

أي: ذلك الإكرام والاصطفاء الذي ذكره الله تعالى هو هدى الله تعالى لهم، فإنه تعالى يهدي من يشاء من عباده فضلًا، ويضل من يشاء ويبتلي عدلًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.[1]

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: ولو أشرك هؤلاء الرسل مع ما لهم من الفضلِ ورفعةِ المنزلةِ، لحبطت أعمالهم، وحبوط العمل فساده وبطلان ثوابه، وعدي: (حَبِطَ) بـ (عَنْ) لتضمنه معنى هلك؛ أي: هلك عنهم ثواب ما كانوا يعملون من الطاعات.

وفيه تغليظٌ للشرك، وتنفيرٌ عنه لسوء عاقبته؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَرِ: ٦٥]، وأنه ذنبٌ لا يُغفر؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.[2]

ولا يلزم وقوع الشرط؛ لاستحالة الشرك على الأنبياء عليهم السلام؛ لعصمة الله تعالى لهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.

(أُولَئِكَ) إِشَارَةٌ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ تقدمَ ذِكْرُهُمْ، أي: أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ الذين اجتبيناهم، هم الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، والكتاب اسم جنس واللام فيه للعهد، والمرادُ بذلك ما أنزله الله تعالى على كل نبي؛ كصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَتوراةِ مُوسَى، وَزَبُورِ دَاوُدَ، وَإِنْجِيلِ عِيسَى، ﴿وَالْحُكْمَ﴾: الْفَهْمُ لكِتَابِ اللهِ وَمَعْرِفَةَ أَحْكَامِهِ، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: الرسالةُ والوحيُ.

---

١ - سورة الرعد: الآية/ ٢٧

٢ - سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٤٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.

أي: فَإِنْ يَكْفُرْ بالْكِتَابِ، وَالْحُكْمِ، وَالنُّبُوَّةِ هَؤلاءِ يَعْنِي: مُشرِكِي مَكَّةَ، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾؛ يَعْنِي بهم: الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَمن آمَنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

(أُولئِكَ) إِشَارَةٌ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ تقدمَ ذِكْرُهُمْ، هم الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ، وهو أعظمُ ثناءٍ؛ لأنه ثناءُ الله تعالى، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، أمر للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باقتفاء آثارهم، والاقتداء بهم في توحيدهم لله تعالى، وهو أمرٌ لأمته تبعًا له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيما لا يخالف شريعتنا.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.

ثم أمر الله تعالى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يقول لهؤلاء المشركين الذين ظنوا أنه إنما أتى ينازعهم السيادة، ويسألهم أموالهم: قل لهم يا محمد: لا أطلب منكم أجرًا على تبليغي لكم الدين.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.

أي: ما هو إلا تذكرة للعالمين، وإرشادٌ لهم يبين لهم ما يحبه الله ويرضاه، وما يسخطه ويأباه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩١

سبب نزول الآية:

اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقيل: نزلت في اليهود؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ كِتَابًا؟ قَالَ: "نَعَمْ" قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾.[1]

وقيل نزلت في مشركي قريش؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، قَالَهَا مُشْرِكُو قُرَيْشٍ. وورد مثله عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو الراجح؛ لأنَّ اليهود لم يتقدم لهم ذكرٌ، والكلام في السورة من أولها عن مشركي قريش، والسورة كلها مكية كما تقدم.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أخبر في الآية السابقة في معرض الحديث عن الأنبياء من ذرية نوح وأنه أنزل عليهم الكتب بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٨٩]، ذكر هنا حال مشركي قريش، وعدم توقيرهم لله تعالى بقدحهم في حكمته، وأنه خلق الخلق سدى وتركهم هملًا، وأنه ما أنزل الكتب لهدايتهم، ولا أرسل الرسل لتبليغه دينه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

أي: وَمَا عَظَّمُوا اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وَلَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ. وَأَصْلُ الْقَدْرِ سَبْرُ الشَّيْءَ لِمَعْرِفَةِ مِقْدَارِهِ وصفاتِهِ.

---

١ – تفسير الطبري– ط. دار التربية والتراث» (١١/ ٥٢٣)، وأسباب النزول للواحدي، ت: الحميدان» (ص٢١٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾.

أي: حين قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ؛ فطعنوا في حكمة الله تعالى وكذبوا رسله عليهم السلام، وبالغوا في إنكارهم للوحي؛ لذلك ورد لفظ: (بَشَرٍ) نكرةً، وكذا قوله: (مِنْ شَيْءٍ)، للمبالغة في النفي.

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾.

أي: قل لهم يا محمد: مَنْ الذي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى يعني: التوراة، وأنتم تعرفون ذلك وتقرون به، فقد كانوا يسألون اليهود ويقولون لهم أنتم أهل الكتاب الأول.

﴿نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾.

أي: ضياءً يبدد ظلمات الجهل، وتبيانًا للناس يبين لهم الحق ليتبعوه، والباطل ليجتنبوه.

﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾.

قرأ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَيَعْقُوبُ: ﴿يَجْعَلُونَهُ﴾، بِيَاءِ الْمُضَارِعِ لِلْغَائِبِ؛ فيكونُ خبرًا عن اليهود، ذكر استطرادًا تشنيعًا عليهم.

وقرأ الباقون: ﴿تَجْعَلُونَهُ﴾، بِتَاءِ الْخِطَابِ، فقيل: هو خطابٌ لليهودِ.

وقيل: هو خطابٌ لِلْمُشْرِكِينَ، وهو الراجحُ؛ فدلَّ على أنهم علموا ببعثة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من اليهود، وكتموا ذلك.

وقال مجاهد: قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾، خطاب للمشركين، وقوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾، لِلْيَهُودِ وَقَوْلُهُ ﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾. لِلْمُسْلِمِينَ.

﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾.

أَيْ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَهُ أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، ببعثة محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنزال القرآن، وما فيه من صفات الله العلى وأسمائه الحسنى وأركان الإيمانِ؛ كما قال تعالى ممتنًا عليهم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الْجُمْعَةِ: ٢]، فعلَّمَهُم اللهُ تعالى مَا لَمْ تَكُونُوا يَعْلَمُونَهُ وإن لم يُؤمنوا.

والغرضُ من السؤالِ التقريرُ.

﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ: قُلِ: اللَّهُ أَنْزَلَهُ. أي: قل لهم يا محمد إذا لم يقروا أن الذي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى هو اللهُ، قُلِ: اللَّهُ أَنْزَلَهُ.

أَيْ: ثُمَّ دَعْهُمْ فِي غَيِّهم يتخبطون، وَفِي ضَلَالِهِمْ يَلْعَبُونَ، فإنهم اتخذوا دينهم لعبًا ولهوا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩٢

لما قال المشركون: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، أمر الله تعالى رسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالردِّ عليهم بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٩١]، ثم قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، إِشَارَةٌ إِلَى الْقُرْآنِ، وَتَنْكِيرُهُ لِلتَّفْخِيمِ؛ أي: وَهَذَا كِتَابٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ، جليلُ الشأنِ، أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ، كما أَنْزَلْنَا على موسى التَّوْرَاةَ، ثُمَّ وَصَفَهُ بِصِفَاتٍ عدةٍ مثنيًا عليه، فقال: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، للردِّ على من زعم أنه كلام مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى لَا مِنْ عِنْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن صفاته أنه: ﴿مُبَارَكٌ﴾، أي: كثير البركةِ، عظيم النفع، دائمُ الخير، ومن بركة القرآن رفعةُ من قرأه وتدبره وعمل بما فيه وعلمه في الدنيا والآخرة؛ كما قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».[1]

﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

أي: ومن صفاته أنه مُصَدِّقٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ ورسلِهِ السابقينَ.

﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

أي: وأَنْزَلْنَاهُ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى يَعْنِي: مَكَّةَ، عَذَابَ اللَّهِ وَبَأْسَهُ، وقيل: لها أم القرى؛ لأَنَّ الْأَرْضَ دُحِيَتْ مِنْها؛ كما قال قتادة.

وقالَ السُّدِّيُّ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرَى لِأَنَّهَا أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ بِهَا.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: ولِتُنْذِرَ مَنْ حَوْلَهَا مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وهو دليل على عموم بعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابْنُ عَبَّاسٍ: أُمُّ الْقُرَى: مَكَّةُ، وَمَنْ حَوْلَهَا: الْأَرْضُ كُلُّهَا.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، حديث رقم: ٨١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

أي: وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالبعث والنشور، والجنة والنار، وهم أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ، فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكم، ويؤمنون بمتشابهه.

﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

أَيْ: وهم يُؤدون الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، وخص الصلاةَ بالذكرِ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فُرِضَ عِنْدَ نُزُولِ هذه السُّورَةِ مِنْ أَرْكَانِ الإسلام العملية سواها؛ ولأنها أظهر شعائر الإسلام، وأعظم أركانه العملية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩٣

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا وصفَ الله تعالى الْقُرْآنَ الكريمَ بأَنَّهُ كِتَابٌ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِهِ تعالى، وأَنَّهُ مُبَارَكٌ وأَنَّهُ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ من كتب الله السابقة، أَعْقَبَ ذَلِكَ ببيانِ حَالِ مَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، أو ادَّعَى النُّبُوَّةَ كذبًا وزورًا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

سُؤالٌ مَعْنَاهُ النَّفْيُ، أَيْ: لَا أَحَدَ أَظْلَمُ ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، وبدأ به لأنه أَعَمُّ مِنْ ادِّعَاءِ الوَحْيِ وادعاء إنزالِ الكتبِ، ومن الكذبِ على الله تعالى التحليل والتحريم بغير علم، وبلا دليلٍ شرعي؛ كما قال تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.[1]

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾.

ومن الافتراء على الله تعالى أن يقول قائلٌ كذبًا وزورًا: (إن الله أوحى إلي)، فَزَعَمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ كما حدث من مُسَيْلِمَةَ الكذَّابِ وَالْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ وَسَجَاحَ ، وهذا أخصُّ مما سبقَ، وأشدُّ قبحًا، وأعظم إثمًا، وقد أخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه سيخرج في أمته قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كذابًا يدعون النبوة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ».[2]

---

١ – سورة النَّحْلِ: الآية/ ١١٦

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، حديث رقم: ٣٦٠٩، ومسلم– كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ، حديث رقم: ١٥٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

أي: وَمَنِ ادَّعَى أَنَّهُ يُعَارِضُ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ الْوَحْيِ بِمَا يَفْتَرِيهِ هُو مِنَ الْقَوْلِ، وهذا أخصُّ الثلاثة وأشنعها، فإنَّ الكلام فيه ترقي من الأدنى إلى الأعلى.

قيل المراد به النضر بن الحارث، وهو الذي قال اللهُ تَعَالَى فيه: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الْأَنْفَالِ: ٣١]، وهو يشمل كل من صدر منه هذا القول فإنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

وهذا أعظم الذنوب وأشنعها على الإطلاق؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. [الْأَعْرَافِ: ٣٣]، فإنَّه بدأ بالأدنى ثم الأعلى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩٣

أي: وَلَوْ تَرَى يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ يَغْمُرُ الْمَوْتُ بِسَكَرَاتِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، الذين افْتَرَوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ، وتغْشَاهُم كُرَبُهُ وشَدَائِدُهُ، وَالْغَمْرَةُ الشِّدَّةُ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾، بِالضَّرْبِ إهانةً لهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الْأَنْفَالِ: ٥٠]، وبَسْطُ اليدِ هُنَا كِنَايةً عَنِ الضَّرْبِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ [الْمُمْتَحِنَةِ: ٢]، وَحُذِفَ جَوَابُ (لَوْ) للتَّهْوِيلِ، وَتَقْدِيرُهُ: لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا.

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾.

تقول لهم الملائكة ذلك إهانةً لهم وذلك أنَّ روح الكافر تَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ عند الموتِ فَتَنْتَزِعُهَا الْمَلَائِكَةُ؛ كما في حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وفيه قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ".[١]

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

أَيِ: الْيَوْمَ تُثَابُونَ عَلَى كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ، وَاسْتِكْبَارِكُمْ عَنِ الْخُضُوعِ لِأَمْرِهِ، وَالِانْقِيَادِ لِرُسُلِهِ بعَذَابٍ تُهَانُونَ بِهِ غَايَةَ الْهَوَانِ، وينالُكُم مِنَ الذُّلِّ ما لا يخطرُ ببالٍ، وفي الآية دليلٌ على إثباتِ عَذَابِ القبرِ.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٨٥٣٤، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩٤

أَيْ: وَيُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا: لَقَدْ جِئْتُمُونَا مُنْفَرِدِينَ وَاحِدًا وَاحِدًا.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أَيْ: لا تملكون شيئًا، ولا تَقْدِرُونَ عَلَى شَيءٍ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].[1]

﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾.

أَيْ: جِئْتُمُونَا بِلَا أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا وَلَدٍ وَلَا نَاصِرٍ، وَتَرَكْتُمْ مَا أَعْطَيْنَاكُمْ وَمَا مَلَّكْنَاكُمْ فِي الدُّنْيَا خَلْفَ ظُهُورِكُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الْكَهْفِ: ٤٨]؛ لأنهم ظنوا أنهم إِنْ بُعثوا سيكون لهم من الأموالِ والأولادِ خيرًا مما كان لهم في الدنيا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ صَاحِبِ الجَنَّتَيْنِ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾.[2]

وقَالَ تَعَالَى عَنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا﴾ [مَرْيَمَ: ٧٧]، يعني يوم القيامة.

﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾.

أَيْ: وَمَا نَرَى مَعَكُمْ أَوثَانَكُم الَّذِينَ عَبَدْتُمُوهُمْ وَجَعَلْتُمُوهُمْ شُرَكَاءَ للهِ تعالى، فصرفتم لهم من العبادات ما لا ينبغي إلا لله تعالى.

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، حديث رقم: ٤٦٢٥، ومسلم- كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٢٨٦٠

٢ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الآية/ ٣٥، ٣٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

قَرَأَ نَافِعٌ وَالْكِسَائِيُّ وَحَفْصٌ بِالنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيةِ، فيكونُ المعنى: لَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ، وقيل هو فَاعِلٌ لَكِنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ حَمْلًا عَلَى أَكْثَرِ أَحْوَالِ هَذَا الظَّرْفِ.

وَقَرَأَ الباقون بالرفعِ: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾ أَيْ: لَقَدْ تَقَطَّعَ وَصْلُكُمْ، وتفرقَ شَمْلُكُمْ، والبَيْنُ من ألفاظِ الأضدادِ، يطلق على الوصلِ والفراقِ، كما قال ابن الأنباري وغيره.

﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

أي: ضَلَّ عَنْكُمُ الشُّفَعَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لَكُمْ، ولم تهتدوا إليكم في أرض المحشرِ.

وفي الآية لفٌّ ونشرٌ مرتبٌ؛ فقوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، رَاجِعٌ إِلَى قوله: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، رَاجِعٌ إِلَى قوله: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩٥

مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ دَلَائِلَ وَحدَانِيتِهِ، شرعَ في ذكرِ شيءٍ من أفعالِه الدَّالَّةِ على كَمَالِ عِلْمِهِ، وعَظيمِ قدرتِهِ، وبديعِ صُنعِهِ، وبالغِ حِكمتِهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾.

يخبر الله تعالى أنَّ من أفعالِه الدَّالَّةِ على عَظيمِ قدرتِهِ، وبديعِ صُنعِهِ أَنَّهُ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَالْفَلْقُ هُو الشَّقُّ، فهو الذي يَشُقُّ الْحَبَّ وَالنَّوَى فِي الأَرْضِ فَتَنْبُتُ الزُّرُوعُ ذواتِ الْحُبُوبِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا كالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وغَيرِهِمَا، وَتَنْبُتُ الثِّمَارُ ذواتِ النَّوَى مِثْلَ الْخَوْخِ وَالتَّمْرِ وغَيرِهِمَا عَلَى اخْتِلَافِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾: خَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾.

أَيْ: ومن دَلائِلِ وَحدَانِيتِهِ، وعَظيمِ قدرتِهِ أنَّه تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾، فيُخْرِجُ النَّبَاتَ الْحَيَّ مِنَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ فيُخْرِجُ الْحَبَّ وَالنَّوَى الَّذِي هُوَ كَالْجَمَادِ الْمَيِّتِ مِنَ النَّبَاتِ الْحَيِّ؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾.[1]

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

أَيْ: فَاعِلُ ذَلِكَ كُلِّهُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾. أَيْ: فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عن عبادةِ اللهِ الخالقِ، وَتَعْبُدُونَ غَيْرَهُ.

---

١ - سورة يس: الآية/ ٣٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩٦، ٩٧

تقدم أن الْفَلْقَ هُو الشَّقُّ، وَالْإِصْبَاحُ مَصْدَرُ أَصْبَحَ، أي: اللهُ تعالى هُوَ الذي يَشُقُّ ظَلَامَ اللَّيْلِ عَنْ ضَوْءِ الصَّبَاحِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾: خَالِقُ النُّورِ، نُورَ النَّهَارِ.

﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾.

أَيْ: وَجَعَلَ اللَّيْلَ مُظْلِمًا لتَسْكُنَ فِيهِ الكَائِنَاتُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الْقَصَصِ: ٧٣]، أَيْ: لِتَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾.

أَيْ: وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى سَيْرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي أَفْلَاكِهِمَا بِحِسَابٍ مقدَّرٍ، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يُونُسَ: ٥]، فَبِالشَّمْسِ تُعْرَفُ الْأَيَّامُ، وَبِالْقَمَرِ تُعْرَفُ الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ.

و﴿حُسْبَانًا﴾: مَصْدَرُ حَسَبَ كَالْغُفْرَانِ؛ يُقَالُ: حَسِبْتُ الشَّيْءَ أَحْسُبُهُ حُسْبَانًا وَحِسَابًا وَحِسْبَةً؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾، أَيْ: بِحِسَابٍ.

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

أي: ذَلِكَ الَّذِي وَصَفَهُ اللهُ تعالى من فَلْقِ الْإِصْبَاحَ، وَجَعْلِهِ اللَّيْلَ سَكَنًا، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا، تَقْدِيرُ الَّذِي عَزَّ سُلْطَانُهُ، فَلَا يغالبُ، وَلَا يُخَالَفُ، ولا يكون إلا مايريدُ، الْعَلِيمُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِمَصَالِحِ خَلْقِهِ، ومِنْ كَمَالِ عِلْمِهِ، ذلك التَّقْدِيرُ المحكمُ غايةَ الإحكامِ لأَجْرَامِ الْأَفْلَاكِ وصِفَاتِهَا، وَحَرَكَاتِهَا الْمُقَدَّرَةِ، ومَا بَيْنَهَا مِنْ مَسَافَاتٍ مُقَدَّرَةٍ ثابتةٍ.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وَمِنَ دَلَائِلِ قُدْرَةِ اللهِ تعالى وَحِكْمَتِهِ، أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ النُّجُومَ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.[1]

قَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: ٥]، خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاَثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلاَمَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ.[2]

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

أَيْ: قَدْ بَيَّنَّا الحججَ، ومَيَّزنَاهَا؛ لِتَكُونَ أَبْلَغَ فِي الِاعْتِبَارِ، فيَتَدَبَّرُهَا أَهْلُ الْعِلْمِ، الذين يَعْقِلُونَ عن اللهِ مُرَادَه، وفي الكلامِ تَعْرِيضٌ بِمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بهَذَا التَّفْصِيلِ وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ.

١ – سورة النحل: الآية/ ١٦

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابٌ فِي النُّجُومِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩٨

وَمِنَ دَلَائِلِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ، أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَوْجَدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ العَدَمِ، وَابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ مِنْ ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يَعْنِي: مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النِّسَاءِ: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾.[1]

﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾.

اختلف المفسرون في المراد بذلك فقَالَ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مُسْتَقَرُّهَا فِي الْأَرْحَامِ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَيْثُ تَمُوتُ.

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمُجَاهِدٌ: مُسْتَقَرُّهَا: فِي الدُّنْيَا، وَمُسْتَوْدَعُهَا: فِي الْآخِرَةِ.

والرَّاجِحُ القولُ الأولُ، ويَدُلُّ عَلَيهِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: ٥]، وهذه الآيةُ كقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.[2]

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

أي: قَدْ بَيَّنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْهمُونَ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى، ويعقلونَ عنهُ مُرَادَهُ.

---

١ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٨٩

٢ - سُورَةُ هُودٍ: الآية/ ٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩٩

وَمِنَ دَلَائِلِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ، أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مباركًا بقدرٍ، يحي به البلادَ والعبادَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١٢]، وتقديم الضمير للاختصاص، وفيه تعريض بالمشركين الذين يعبدون أوثانًا لا تملك نفعًا ولا ضرًا.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

أي: فَأَخْرَجْنَا بِوَاسِطَةِ الْمَاءِ مَا يَنْبُتُ مِنْ كُلِّ أَصْنَافِ النَّبَاتِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٣٠]، وفي الكلامِ التفاتٌ من الغيبةِ إلى الحضورِ، ومن الإفراد إلى الجمع، والجمع هنا للتعظيم؛ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[1]

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾.

أي: فَأَخْرَجْنا مِنْ ذَلِكَ النَّبَاتِ خَضِرًا، وَالْخَضِرُ: مَا كَانَ لَوْنُهُ أَخْضَرُ، فبدأ بجنسِ النَّبَاتِ ثم قَسَّمَهُ إلى أَنْواعٍ فَبَدَأَ بالنَّبَاتِ الأَخْضَرِ ثم النَّخْلِ ثم الجَنَّاتِ وَالأَشْجَارِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الْقَمْحَ وَالشَّعِيرَ وَالسُّلْتَ وَالذُّرَةَ وَالْأُرْزَ.

﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾.

أي: نُخْرِجُ مِنْ ذَلِكَ الْعُودِ الْأَخْضَرِ سَنَابِلَ تَكُونُ الْحَبَّاتُ فِيهَا مُتَرَاكِبَةً بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

١ - سورة الحجر: الآية/ ٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾.

أي: وَأَخْرَجْنا مِنْ ذَلِكَ النَّبَاتِ نخلًا معهودًا لكم تعرفونه، و(مِنْ) تبعيضية لكثرة أنواعِ النَّخلِ، وإرادةِ صنف معينٍ منها، وَالطَّلْعُ، أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ مِنْ زَهْرِهَا الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ ثَمَرُهَا، وَقَبْلَ أَنْ يَنْشَقَّ عَنِ الْإِغْرِيضِ، ويقال لها: أَكْمَامٌ، و﴿قِنْوَانٌ﴾ جَمْعُ قِنو وَهِيَ عُذُوق الرُّطَبِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾، يَعْنِي: قِصَارَ النَّخْلِ اللَّاصِقَةِ عُذُوقُهَا بِالْأَرْضِ.

وَخَصَّ الدَّانِيَةَ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّ الكَلَامَ فِي مَعْرِضِ الِامْتِنَانِ، وَالِامْتِنَانُ بِمَا يَقْرُبُ تَنَاوَلُهُ أَظْهَرُ.

﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾.

أَيْ: وَأَخْرَجْنَا بِوَاسِطَةِ الْمَاءِ بَسَاتِينَ مِنْ أَعْنَابٍ، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ عَنْ عَاصِمٍ ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بِالرَّفْعِ عَطفًا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿قِنْوَانٌ﴾.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾.

أَيْ: وَأَخْرَجْنَا بِهِ الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ حالَ كونِهِ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ.

قَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ مُشْتَبِهًا وَرَقُهَا مُخْتَلِفًا ثَمَرُهَا، لِأَنَّ وَرَقَ الزَّيْتُونِ يُشْبِهُ وَرَقَ الرُّمَّانِ، وَقِيلَ: مُشْتَبِهٌ فِي الْمَنْظَرِ مُخْتَلِفٌ فِي الطَّعْمِ.

خَصَّ الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ بِالذِّكْرِ لِقُرْبِ مَنَابِتِهِمَا مِنَ بِلَادِ الْعَرَبِ؛ كَمَا قال تعالى: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الْغَاشِيَةِ: ١٧]، لِأَنَّ غَالِبَ دَوَابِّ الْعَرَبِ كَانَتِ الْإِبِلُ.

﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾.

أي: انْظُرُوا – مُتفكّرِينَ ومُعْتبرِينَ – إِلَى ثَمَرِ هَذِهِ الْأَشْجَارِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ النَّخْلِ وَالْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانِ إِذَا أَثْمَرَ، وَيَنْعِهِ؛ أَيْ: وانْظُرُوا إلى نُضْجِهِ؛ يقال: أَيْنَعَتِ الثَّمَرَةُ تُونِعُ إِينَاعًا إذا نضجت، لتستدلوا بذلك على عظيم قدرة الله تعالى وبالغ حكمته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

أي: إن في بديع خلق الله تعالى للثمار وما تمر به من أطوار حتى تنضج لدلائل قطعات على وحدانية الله تعالى، وقدرته الباهرة، وحكمته العظيمة، ولا ينتفع بذلك إلا المؤمنون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠٠

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا ذكرَ دَلائِلَ وحدانيتِهِ، وكمال قدرته تعالى، ذَكَرَ هنا أنَّ من بنى آدم من لا ينتفع بالآيات، ولا يقيم وزنًا للحجج والبراهين، ويجعلون المخلوقين شركاءَ للخالقِ جلَّ وعلا.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾.

يعني أنَّ مُشْرِكِي قُرَيشَ جَعَلُوا الْجِنَّ شُرَكَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادَتِهِمْ، يتقربون إليهم بالقرابين، ويخشونهم كخشية الله، وهم خَلْقٌ من خَلْقِهِ، وعَبِيدٌ مِنْ عَبَادِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾.[1]

وكانوا يعتقِدُونَ أنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللهِ مِنْ أُمَّهَاتِ سَرَوَاتِ الْجِنِّ، تَعَالَى اللهُ عن ذلك علوًا كبيرًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.[2]

وعلى هذا القول يكون: ﴿الْجِنَّ﴾ مفعول أول، و﴿شُرَكَاءَ﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ.

وَيُحتملُ أَنْ يَكُونَ ﴿الْجِنَّ﴾ بَدَلًا مِنْ شُرَكَاءَ.

﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

أَيْ: وَاخْتَلَقُوا وَكَذَبُوا، فَافْتَعَلُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ بما يجبُ للهِ من صفاتِ الكمالِ ونعوتِ الجلالِ، وَلَكِنْ جَهْلًا منهم بِاللَّهِ وَبِعَظَمَتِهِ، والكلام وإن نزل في مشركي قريش إلا أنه يشمل اليهود والنصارى لنسبتهم الولد لله تعالى.

---

١ - سُورَةُ سَبَأٍ: الآية/ ٤٠، ٤١

٢ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الآية/ ١٥٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُمْ تَخَرَّصُوا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَخَرَقُوا﴾: كَذَبُوا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: خَرَصُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

أَيْ: تَنَزَّهَ اللهُ وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَصِفُهُ المشْرِكُونَ الضَّالُّونَ عَمَّا يَكْذِبُونَ مِنَ نِسْبَةِ الصَّحبةِ والولدِ والشُّرَكَاءِ للهِ تَعَالَى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠١، ١٠٢

ومن دلائل وحدانية الله تعالى وقدرته الباهرة أنه تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أَيْ: مُبْدِعُهُمَا لَا عَلَى مِثَالٍ سَبَقَ، وذكر السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لأنها أعظمُ المخلوقاتِ فيما يراه النَّاسُ.

﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾.

أَيْ: كَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ؛ أَيْ: زَوْجَةٌ، وَإِذَا لَمْ تُوجَدِ الزَّوْجَةُ اسْتَحَالَ وُجُودُ الْوَلَدِ، وكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟ والله تعالى لا يشبه خلقه، ولا يشبهه شيءٌ من خلقه؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[1]

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

أَيْ: واللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الوُجُودِ، فكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وهو خَلْقٌ من خَلْقِ اللهِ تعالى.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أَيْ: لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، وفيه تهكم بهؤلاء الجهال الذي ينسبون لله تعالى الصاحبة والولد، والذين يزعمون أن الملائكة بنات الله، وأنه تعالى بينه وبين الجنة نسبًا، فمع قبح معتقدهم وسوء أدبهم مع الله تعالى، تجرؤوا ادعاء علمٍ غَيبيّ لا يعلمه سواهم، ففند الله تعالى زعمهم، وردَّ افتراءهم بأنَّه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾.

أَيْ: ذَلِكُمُ الذي أبدعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ ولا ولدٌ، هو اللَّهُ رَبُّكُمْ الذي لَا إِلَهَ غيرهُ ولا ربَّ سواه، وَهُوَ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فلا يستحق العبادة غيره.

---

١ - سُورَةُ الشُّورَى: الآية/ ١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

أَيْ: وَهُوَ تَعَالَى حَفِيظٌ على العبادِ يَكْلَؤُهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَرَقِيبٌ عليهم لا يعزبُ عن علمه شيءٌ منهم، وكُلُّ شَيْءٍ يفتقرُ إليه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠٣

أي: ومن دلائل وحدانية الله تعالى وقدرته العظيمة، وعظمته الباهرة، أنه تعالى أعظم من أن تدركه الأبصار: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾، وليس في الآية متمسك لمن ينكرون رؤية الله تعالى يوم القيامة؛ فإن الرؤية لا يلزم منها الإدراك؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٦١، ٦٢]، فأثبت الرؤية بقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾، ونفى الإدراك بقوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، فإن معنى الإدراك الإحاطة، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ الْإِحَاطَةِ عَدَمُ الرُّؤْيَةِ كَمَا لَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ إِحَاطَةِ الْعِلْمِ عَدَمُ الْعِلْمِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.[١]

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾: لَا يُحِيطُ بَصَرُ أَحَدٍ بِالْمَلِكِ.

وَعَنْ عِكْرِمة، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾؟ قَالَ: أَلَسْتَ تَرَى السَّمَاءَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَكُلَّهَا تَرَى؟

وقِيلَ: الْإِدْرَاكُ أَخَصُّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ الْأَخَصِّ انْتِفَاءُ الْأَعَمِّ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ، سيرونَ ربهم تبارك وتعالى في الآخرةِ كما نرَى الْقَمَرَ، ومع ذلك لَا يُدْرِكُ أحدٌ من الخلقِ حَقِيقَتَهُ وَكُنْهَهُ تَعَالَى لعظمتِهِ.

ومما يدلُّ على رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[٢]

وَمنها قَولُهُ تَعَالَى عَنِ الْكَافِرِينَ: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ١٥]،

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُحْجَبُون عَنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

١ - سورة طه: الآية/ ١١٠

٢ - سورة الْقِيَامَةِ: الآية/ ٢٢، ٢٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ - أَوْ لاَ تُضَاهُونَ - فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَالَ: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا».[1]

وأحاديث رؤية المؤمنين لربهم تبارك وتعالى في الآخرة متواترة؛ وقد قيل:

مما تواترَ حديثُ مَنْ كَذَبْ **** وَمَنْ بَنَى للهِ بيتاً واحْتَسَبْ

ورؤيةٌ شَفَاعَةٌ والْحَوضُ **** وَمْسُحُ خُفَّيْنِ وَهذى بَعْضُ

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

أي: الذي لطف علمه حتى أدرك الخفايا، الْخَبِيرُ بخلقه، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.[2]

وهو تعالى لَطِيفٌ بِعِبادِهِ، خَبِيرٌ بما يصلحهم، وما تحتمله خلقتهم؛ ودلَّ على هذا المعنى قولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ".[3]

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، حديث رقم: ٧٤٣٤، ومسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا، حديث رقم: ٦٣٣

٢ - سورة غَافِرٍ: الآية/ ١٩

٣ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابٌ: فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَفِي قَوْلِهِ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، حديث رقم: ١٧٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠٤، ١٠٥

البَصَائِرُ جَمعُ بَصِيرَةٍ، وهِيَ قُوَّةُ القَلْبِ الْمُدرِكَةُ، والمرادُ بها هنا: البراهِينُ وَالحججُ وَالبيِّناتُ الظَّاهِرَةُ، التي أنزلها الله تعالى في كتابه على رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقدم شَيءٌ منها في هذه السُّورةِ العظِيمةِ، ومَا جَاءَ بِهِ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في سنتِهِ، وَأُطْلِقَتِ الْبَصَائِرُ عَلَى الحججِ وَالبيِّناتِ لأَنَّها سَبَبٌ إدراكِ القلبِ.

وهذا مما أَمَرَ اللهُ تعالى رَسُولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يقوله لهؤلاء المشركين - ليقطع عذرهم - بقرينة قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾، أَيْ: قُلْ لَهُم يَا مُحَمَّدُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى مَا تُبصِرُونَ بِهِ الْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، والرُّشدَ من الغَي، وَالإِيمَانَ مِنَ الكُفْرِ.

وإنما قال: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ لأنَّ إنزال الكتب وما فيها من حججٍ وَبيِّناتٍ من جملة النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم، وذكرُ الربوبية تذكيرٌ لهم بمن خلقهم من العدم، وتعهدهم بفضله، وغذاهم بنعمه، وعمهم بإحسانه، ونسبهم إليه تودُّدًا إليهم، وأنهم ليس لهم سواه.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾.

أي: فمن اهتدى بما جاءه من البينات والهدى، فإنما يكون انتفاعه بذلك لنفسه، ومن أعرض عما جاءه من البينات والهدى فإنما وبال ذلك على نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾. [الْإِسْرَاءِ: ١٥]، واستعير الإبصار والعمى، وهما للمحسوسات؛ للدلالة على قوةِ البراهين، وظهورِ الحججِ، فمن لم يدركها مع ظهورها فهو أعمي البصيرة لأنه لم ينتفع بها.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾.

أَيْ: وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَافِظٍ وَلَا رَقِيبٍ أُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ، إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَاللَّهُ هُوَ الْحَفِيظُ عَلَيْكُمُ الَّذِي يُحْصِي عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ، لِيُحَاسِبَكُم عَلَيهَا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾.

أَيْ: وَكَمَا فَصَّلْنَا الْآيَاتِ وبيَّنَّاهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَنُبَيِّنُهَا فِي غَيْرِهَا، ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾، اللام هنا للعاقبة؛ أَيْ: وَلِيَقُولَ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ: دَارَسْتَ يَا مُحَمَّدُ وَقَرَأْتَ وَتَعَلَّمْتَ مِمَّنْ قَبْلَكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾.[1]

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

أَيْ: وَلِنُبَيِّنَ تَصْرِيفَنَا الْآيَاتِ وَنُوَضِّحَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَيَتَّبِعُونَهُ، وَالْبَاطِلَ فَيَجْتَنِبُونَهُ، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.[2]

---

١ – سُورَةُ الْفُرْقَانِ: الآية/ ٥

٢ – سُورَةُ فُصِّلَتْ: الآية/ ٤٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠٦، ١٠٧

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا هِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أخبرَ عن تعنتِ المشْرِكينَ في قبول الحقّ، وافترائهم على رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الكذب، وأنه تعلم القرآن من بعض أهل الكتاب بقوله عنهم: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾. [الْأَنْعَامِ: ١٠٥]، أمر الله تعالى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باتِّبَاعِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ القرآنِ، والإعراضِ عن هؤلاء الْمُشْرِكِينَ، لِئَلَّا يكون كلامهم سَبَبًا لِفُتُورِهِ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

الِاتِّبَاعُ فِي الْأَصْلِ: اقْتِفَاءُ أَثَرِ الْمَاشِي، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي امْتِثَالِ الْأَمْرِ وَالْعَمَلِ بِمِثْلِ عَمَلِ الْمَتْبُوعَ، والمعنى: اقْتَفِ أَثَرَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ الذي جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ، وَاعْمَلْ بِهِ؛ فَإِنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وذكرَ لَفْظَ: (رَبِّكَ) دُونَ اسْمِ الْجَلَالَةِ تأنيس للرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتطمينًا لقلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ لبيانِ علة الأمر باتباع الوحي وهي أنَّ الطاعة المطلقة لا تنبغي إلا له تعالى، لأنه لا معبود بحقٍّ سواه.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

أي: وَأَعْرِضْ عَنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَعِنَادِهِمْ، وَدَعْ عَنْكَ جِدَالَهُمْ، ولا يشغلنك أذاهم وتعنتهم عن الدعوة إلى الله تعالى، وليس المراد الإعراض عن دعوتهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾.

أي: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لجعلهم مؤمنين موحدين؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يُونُسَ: ٩٩]، ولكنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، لا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.[1]

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.

أي: إنما بعثناك مبلِّغًا لهم وما بعثناك عَلَيْهِمْ رَقِيبًا تَحْفَظُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وفيه تَسْلِيَةٌ للرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليذهب حزنه عليهم بسببِ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

أَيْ: وَمَا أَنْتَ بِمُسَلَّطٍ عَلَيْهِمْ فَلَا تَبِعَةَ عَلَيْكَ فِي كُفْرِهِم، وليس في الكلامِ تكرارًا؛ بل الْمَعْنَى أَنَّا لَمْ نجعلْكَ رَقِيبًا عَلَيْهِمْ، وَلَا أَنْتَ فِي نَفْسِكَ مُسَلَّطٌ عَلَيْهِمْ.

---

١ - سورة الأَنبِيَاءِ: الآية/ ٣٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠٨

سَبَبُ نُزُولِ الآيةِ:

سَبَبُ نُزُولِ هذهِ الآيةِ ما ثَبَتَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الْكُفَّارَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ لَتَنْتَهِيَنَّ عَنْ سَبِّكَ آلِهَتَنَا أَوْ لَنَهْجُوَنَّ رَبَّكَ، فَنَهَى اللَّهُ أَنْ يَسُبُّوا أَوْثَانَهُمْ فَيَسُبُّوا الله عدْوًا بغير علم.[1]

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَ أَوْثَانَ الْكُفَّارِ فَيَرُدُّونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَسْتَسِبُّوا لِرَبِّهِمْ قَوْمًا جَهَلَةً لَا عِلْمَ لَهُمْ بِاللَّهِ.[2]

وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ قَالَتْ قُرَيْشٌ: انْطَلِقُوا فَلْنَدْخُلْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ فَلْنَأْمُرَنَّهُ أَنْ يَنْهَى عَنَّا ابْنَ أَخِيهِ، فَإِنَّا نَسْتَحِي أَنْ نَقْتُلَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَتَقُولَ الْعَرَبُ: كَانَ يَمْنَعُهُ فَلَمَّا مَاتَ قتلوه، فانطلق أبا سُفْيَانَ وَأَبُو جَهْلٍ وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَأُمَيَّةُ وَأُبَيُّ ابْنَا خَلَفٍ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: أَنْتَ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ آذَانَا وَآذَى آلِهَتَنَا، فَنُحِبُّ أَنْ تَدْعُوَهُ فَتَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرِ آلِهَتِنَا وَلْنَدَعْهُ وَإِلَهَهُ، فَدَعَاهُ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ وَبَنُو عَمِّكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "ما يُرِيدُونَ؟" فَقَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَدَعَنَا وَآلِهَتَنَا وَنَدَعَكَ وَإِلَهَكَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: قَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ هَذَا هَلْ أَنْتُمْ مُعْطِيَّ كَلِمَةً إِنْ تَكَلَّمْتُمْ بِهَا مَلَكْتُمُ الْعَرَبَ وَدَانَتْ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ؟" قَالَ أَبُو جَهْلٍ: نَعَمْ وَأَبِيكَ لَنُعْطِيَنَّكَهَا وَعَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَمَا هِيَ؟ قَالَ: "قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فَأَبَوْا وَاشْمَأَزُّوا، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: قُلْ غَيْرَهَا يَا ابْنَ أَخِي فَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ فَزِعُوا مِنْهَا، فَقَالَ: "يَا عَمِّ، مَا أَنَا بِالَّذِي أَقُولُ غَيْرَهَا وَلَوْ أَتَوْنِي بِالشَّمْسِ فَوَضَعُوهَا فِي يَدِي مَا قُلْتُ

١ – تفسير الطبري– ط. دار التربية والتراث» (١٢/ ٣٣)، وأسباب النزول للواحدي ت: الحميدان (ص٢٢١)

٢ – تفسير الطبري– ط. دار التربية والتراث» (١٢/ ٣٤)، وأسباب النزول للواحدي ت: الحميدان (ص٢٢١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غَيْرَهَا"، فَقَالُوا: لَتَكُفَّنَّ عَنْ شَتْمِكَ آلِهَتَنَا أَوْ لَنَشْتُمَنَّكَ وَنَشْتُمُ مَنْ يَأْمُرُكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.[1]

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

نهى الله تعالى الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَبِّ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ؛ لأنه يفضي إلى سبِّ الله تعالى، ﴿عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ اعْتِدَاءً مِنْهُم على ذاتِ الله تعالى، وَجَهْلًا بما يجب عليهم من تعظيم الله تعالى.

﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾.

أَيْ: وَكَمَا زَيَّنَا لمشركي قريش ما هم فيه من الضلال وما هم عليه من الباطل من عبادةِ الأَصْنَامِ وَالِانْتِصَارِ لها، زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الماضيةِ ما كانوا عَلَيهِ من الباطلِ والضَّلَالِ، والله تعالى يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ ويبتلي عَدْلًا، وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ ويعصمُ ويُعافي فضلًا.

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾.

أي: ثم مصير العبادِ جميعًا إلى الله تعالى، وذكر وصف الربوبية تذكيرًا لهم بما أنعم به عليهم من الخلق والرزق والتدبير، وتعريضًا بالأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وفيه وعيدٌ لمن أعرض عن عبادة الله تعالى وأشرك به غيره.

وهذه الآية أصل في سَدِّ الذرائع وقاعدة: (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

---

١ - تفسير الطبري- ط. دار التربية والتراث (١٢/ ٣٥)، وأسباب النزول للواحدي ت: الحميدان (ص٢٢٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٠٩

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾، أي: حلفوا بالله، والْقسم أبلغ من الْحلف.

قال الراغب: وأصله من الْقَسَامَةُ، وهي أيمان تُقْسَمُ على أولياء المقتول، ثم صار اسما لكلّ حلف.[١]

يخبر الله تعالى عن المشركين أنهم حلفوا بالله مجتهدين في حلفهم، وَالْجَهْدُ بِفَتْحِ الْجِيمِ: الْمَشَقَّةُ وَالْجُهْدُ بِضَمِّهَا: الطَّاقَةُ وَالمعنيان محتملان هنا والمراد أنهم أَقْسَمُوا بِاللَّهِ مُبَالَغِين فِي الحلفِ بِمُنْتَهَى جَهْدِهِمْ وَغايةِ وُسْعِهِمْ تأكيدًا لكلامِهِم.

﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾.

اللَّامُ فِي (لَئِنْ) هي الْمُوَطِّئَةُ لِلْقَسَمِ، أي: واللهِ ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ مما اقترحوه من الآيات لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا، وَاللَّامُ فِي (لَيُؤْمِنُنَّ) لَامُ جَوَابِ الْقَسَمِ، قالوا ذلك توكيدًا في الأيمان ومبالغةً منهم.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي: قلْ لهم يا محمدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾؛ أي: إنما يأتي بها الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨]، وإنما قال ذلك لأنهم خاطبوه على أنه هو الذي يأتي بالآيات؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٩٠]، فبين لهم أن مردَّ ذلك إلى الله تعالى.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي: وَمَا يُدْرِيكُمْ أيُّها الْمُشْرِكُونَ أَنَّ هَذه الآياتِ التي اقترحتموها إِذَا جَاءَتْ لَا تُؤْمِنُونَ بها، وَهو قَولُ مُجَاهِدٍ وَابْنِ زَيْدٍ، ويكونُ فِي الكَلَامِ التفاتًا مِنَ الحُضُورِ للغَيبَةِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ بتاءِ الْخِطَابِ لِلْمُشْرِكِينَ.

---

١ - المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٧٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَشُعْبَةُ عَنْ عَاصِمٍ بِخُلْفٍ عَنْهُ وَيَعْقُوبُ (إِنَّهَا) بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، فيكون الْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَجِيءَ الْآيَةِ لِيُؤْمِنَ أولئك الْمُشْرِكُونَ، فيكون المعنى: وَمَا يُدْرِيكُمْ أيُّها الْمُؤْمِنُونَ؟ ويكون الكلام قد تَمَّ هُنَا.

ثم ابتدأ فقال: إِنَّ هَذهِ الآياتِ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ بها. وهذا إخبار ممن يعلم السرَّ وأخفى أنَّ هؤلاء الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا سَأَلُوا الآياتِ عِنَادًا واسْتِكْبَارًا عَنِ اتِّباعِ الحقِّ، ولم يَسأَلُوهَا طلبًا للْهُدَى وَاسْتِرْشَادًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٠

التَّقْلِيبُ: مَصْدَرُ قَلَّبَ، وهو تَحْوِيلُ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ؛ ومنه قولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».[1]

لما أخبرَ اللهُ تَعَالَى عن المشركين أنَّهم: ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٠٩] - والله يعلم إنهم لكاذبون، وما أرادوا إلا العنادَ - عاقبهم الله تعالى بالحيلولة بينهم وبين الإيمان، فلو جاءتهم كل آية ما انتفعوا بها، ولا آمنوا كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ تُلِيتْ عليهم آياتُه، ورأوا براهين صدقِهِ، ودلائلَ إعجازِهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا جَحَدَ الْمُشْرِكُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَمْ تَثْبُتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى شَيْءٍ ورُدَّت عَنْ كُلِّ أَمْرٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وَنَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ، فَلَا يُؤْمِنُونَ، كَمَا حُلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».[2]

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

الطُّغيانُ: مجاوزةُ الحدِّ، والمرادُ به هنا الكفرُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وغيرهما: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: في كفرهم يترددون.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٢١٠٧، والترمذي- أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيِ الرَّحْمَنِ، حديث رقم: ٢١٤٠، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، بسند صحي

٢ - رواه مسلم، كتاب الْقَدَرِ، بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ، حديث رقم: ٢٦٥٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَيْ: وَنَتْرُكُهُمْ فِي كُفْرِهِمْ غَرِقُونَ، وفِي ضَلَالِهِمْ تَائِهُونَ مترددون، لا يوفقهم الله تعالى لإيمانٍ، ولا يرشدهم لهدى؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.[1]

وفي الآية دليلُ على أنَّ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

فَمَـــنْ يَشَـــأْ وَفَّقَـــهُ بِفَضْـــلِهِ **** وَمَـــنْ يَشَـــأْ أَضَـــلَّهُ بِعَدْلِـــهِ

١ - سورة المائدة: الآية/ ٤١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة.....	٣
٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا.....﴾.	٤
٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا...﴾.	٩
٤	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ.﴾	١٢
٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.	١٥
٦	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.	١٩
٧	﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا.....﴾.	٢١
٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ.....﴾.	٢٤
٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ.....﴾.	٢٦
١٠	﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.	٣١
١١	﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ.....﴾.	٣٣
١٢	﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.	٣٦
١٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.	٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤	﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.	٤١
١٥	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.	٤٤
١٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.	٤٥
١٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ.....﴾.	٤٨
١٨	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.	٥٤
١٩	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا.....﴾.	٥٦
٢٠	﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.	٥٩
٢١	﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.	٦٠
٢٢	﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.	٦٢
٢٣	﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.	٦٤
٢٤	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ.....﴾.	٦٦
٢٥	﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ.....﴾.	٦٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٦	﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.	٧٠
٢٧	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.	٧١
٢٨	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.	٧٢
٢٩	تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ.	٧٣
٣٠	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ..﴾.	٧٣
٣١	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.	٧٧
٣٢	﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.	٧٨
٣٣	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ.....﴾.	٨١
٣٤	﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.	٨٣
٣٥	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾.	٨٤
٣٦	﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.	٨٥
٣٧	﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.	٨٧
٣٨	﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	٨٩
٣٩	﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.....﴾.	٩١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٠	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.	٩٣
٤١	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.	٩٥
٤٢	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ.....﴾.	٩٧
٤٣	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.	٩٩
٤٤	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.	١٠٢
٤٥	﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾.	١٠٤
٤٦	﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ.....﴾.	١٠٦
٤٧	﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.	١٠٧
٤٨	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ...﴾.	١٠٨
٤٩	﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.	١١٠
٥٠	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ.....﴾.	١١٢
٥١	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.	١١٤
٥٢	﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.	١١٦
٥٣	﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي	١١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ.....﴾.	
٥٤	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ.....﴾.	١١٩
٥٥	﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.	١٢١
٥٦	﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ.....﴾.	١٢٣
٥٧	﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.	١٢٥
٥٨	﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.	١٢٧
٥٩	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.	١٢٩
٦٠	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.	١٣٠
٦١	﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.	١٣٢
٦٢	﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ.....﴾.	١٣٣
٦٣	﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.	١٣٥
٦٤	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ.....﴾.	١٣٦
٦٥	﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ	١٣٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	يَتَّقُونَ (٦٩) وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾.	
٦٦	﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ.....﴾.	١٤٠
٦٧	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ..﴾.	١٤٢
٦٨	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....﴾.	١٤٤
٦٩	﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.	١٥٠
٧٠	﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.	١٥٢
٧١	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.	١٥٣
٧٢	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ.....﴾.	١٥٤
٧٣	﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.	١٥٦
٧٤	﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ..﴾.	١٥٨
٧٥	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ	١٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

	مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ.....﴾.	
٧٦	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.	١٦٣
٧٧	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.....﴾.	١٦٥
٧٨	﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ.....﴾.	١٦٧
٧٩	﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ....﴾.	١٦٨
٨٠	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.	١٧٠
٨١	﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا.....﴾.	١٧١
٨٢	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.	١٧٣
٨٣	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا.....﴾.	١٧٤
٨٤	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾.	١٧٧
٨٥	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.	١٧٩
٨٦	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.	١٨١
٨٧	﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا..﴾	١٨٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨٨	﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.	١٨٥
٨٩	﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.	١٨٧
٩٠	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.	١٨٩
٩١	﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.	١٩١
٩٢	الفهرس.....	١٩٣